

ترجمة وموازنة ونقد

زَعَامَةُ الشَّعْرِ لِلْجَاهِلِيَّاتِ

بين امرئ القيس وعدي بن زيد

تأليف

عبد المتعال الصعدي المدرس بكلية اللغة العربية

من كليات الجامع الازهر

obeykandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدُه حمداً لا يحصى ثناؤه وأصلى على نبيه محمد وجميع أنبيائه — وبعد —
فانه إذا كان لاغنى لأمة من الأمم عن دين تصل به إلى الكمال في سعادتها
وعن علم تصل به إلى الكمال في رفعتها ، فانه لاغنى لها أيضاً عن أدب تصل
به إلى الكمال في عواطفها ، فلا يغنيها الدين وحده عن العلم والأدب ، ولا
يغنيها العلم وحده عن الأدب والدين ، ولا يغنيها الأدب وحده عن الدين والعلم
والدين من بين الثلاثة خير عرض ، أما العلم والأدب فقد يستخدمان في
الشر استخدامهما في الخير ، فلا تصل الأمة بهما إلى الكمال في رفعتها
وعواطفها بل تنحط بهما منزلتها وتفسد عواطفها

فيجب إذا أردنا أن ندرس الأدب درساً نافعاً أن نلاحظ في درسه
وظيفته التي تراد لصالح الناس منه حتى يؤدي فيهم ما خلق له ، وإذا كنا
قد غفلنا إلى الآن عن هذا في درسه حتى أفسدنا به على امتنا عواطفها
وأخلاقها ، وصار أدها رسول شر فيها ، فانه قد آن لنا أن نشفق على هذه
الأمة من هذه الدراسة الأدبية المفسدة ، وأن نستبدل بها دراسة أخرى
صالحة ، وما أحسن لو يأتي هذا من ناحية الأثر وكلياته ، وهو الذي
يرجى الآن ذلك منه

وقد أردت أن أقدم أمام الناس بهذا المثل من تلك الدراسة الأدبية
الصالحة ، وسأبعه بأمثال أخرى إن شاء الله تعالى

ميزان الشعر

يجب قبل أن نأخذ في الموازنة بين هذين الشاعرين (امرئ القيس وعدى ابن زيد) أن نعرف الميزان الذى نزن شعر كل منهما به ونحكم به بينهما لنصل إلى حكم صحيح فيما يريد من إشار أحدهما على الآخر بزعامة الشعر الجاهلى ، بل إن هذا الميزان إذا اهتدينا اليه ينفعنا فى الموازنة بين جميع الشعراء ويمكننا به أن نضع كل شاعر فى المنزلة التى تليق به ، ولا يكون هناك معه محل لهذا الاضطراب الكثير الذى منينا به فى ترتيب شعرائنا ووضعهم فى منازلهم اللائقة بهم بين شعراء عصرهم أو غيرهم ، وإنك لترى شاعرا يضعه بعض علماء الادب فى شعراء الطبقة الاولى ، ثم ترى غيره يضعه فى شعراء الطبقة الثانية ، ثم ترى ثالثا يضعه فى شعراء الطبقة الثالثة وهكذا ، فإذا أردت أن تعرف الميزان الذى وزنوا به شعر هذا الشاعر ليضعوه فى الطبقة الاولى أو الثانية أو الثالثة لم تجد هناك ميزانا للشعر متفقا عليه بينهم ، وإنما هناك ذوق غامض لكل واحد منهم يرجع فى حكمه إليه ولا يمكنه أن يقنع به فى وضوح غيره ، بل إن أحدهم ليقول هكذا اقتضى فوقى وكفى ، أو يقول إن ذلك أمر يختلف باختلاف الأذواق ، كأنما الموازنة الشعرية موازنة بين أذواق أولئك العلماء وليست موازنة بين أشعار الشعراء ، فإذا ذكروا فى موازنة ما شيئا لم يذكروا ما يوضح أن يقدم به شاعر فى الاطلاق على غيره حتى لا يكون هناك خلاف بينهم فيه وإنما يقدمونه ، من ناحية لا تمنع أن يقدم غيره من ناحية أخرى عليه ، كما يقدم أهل البصرة امرأ القيس من ناحية أوائله وسبقه ، ويقدم أهل الكوفة الأعشى نظرا الى كثرة طوالة الجيدة ، ويقدم

أهل الحجاز زهيراً والنايعة نظراً إلى حكمة زهير وقلة معاذاته وفضوله ، وإلى حسن ديباجة النايعة واستوائه ، فلا شك أن شيئاً من ذلك لا يقدم في الإطلاق واحداً من هؤلاء الشعراء الأربعة على غيره ، وإنما يقدمه إن صح به تقديم من الناحية الخاصة به ، ولا يمنع تقديم غيره عليه من الناحية الأخرى الخاصة به ، فمثل هذه الأمور الخاصة لا تصح أن تكون ميزاناً عاماً للشعر يوزن به ، ويقدم الشاعر به في الإطلاق على غيره

وإذا أردنا أن نضع للشعر هذا الميزان العام فلنلتصمه من ناحية هذه الأمور الثلاثة العامة فيه (موضوعاته وألفاظه ومعانيه) وموضوعاته هي أغراضه ، وألفاظه هي معانيه ، ومعانيه هي ألفاظه ، ولا يمتاز اللفظ عن المعنى إلا في مظهر وجوده في اللسان ووجود المعنى في الذهن ؛ فليس هناك في الحقيقة الا شيئين يصح أن يلتصم هذا المقياس العام للشعر منهما (موضوعه ولفظه ومعناه)

فهل الشعر يوزن بموضوعه أو يوزن بألفاظه ومعانيه أو يوزن بهما معاً ؟ وإذا كان يوزن بهما معاً فما الذي ينظر إليه قبل غيره منهما ، ويكون التعويل في ذلك عليه ويعد الثاني مكملًا له ؟

ولا يمكن أن نصل إلى شيء في ذلك قبل أن نعرف ما هو الشعر ؟ وما هي وظيفته في الحياة ؟ فهل الشعر ألفاظ ومعان وأخيلة لا طائل تحتها ؟ وهل هو عبث وهو في الحياة ؟ وهل هو كما يقول الناس من وحي الشياطين ؟ أو هو أمر آخر غير ذلك له وظيفة في الحياة غير العبث واللغو ، وليس هو مجرد ألفاظ ومعان وأخيلة ، وإنما هو سبب من أسباب نهوض الأمم ، ووحى وإلهام من الله تعالى ، وليست الألفاظ والمعاني والأخيلة الأتواباً يلبسها

ليظهر بها ، ويؤدى فى الناس رسالته ووظيفته

فالأصمعى (١) وأضرابه ممن ينظر الى الأدب نظرة أعرابية يرون أن الشعر لا يقوى الا فى باب الشر فاذا دخل فى باب الخير لان ، وإنما طريق الشعر عندهم هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابعة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والحروب والافتخار وما الى ذلك فاذا دخل فى غيره مما دخل فيه بعد الاسلام ضعف ولان ، وهم يرون أن شعر حسان بن ثابت كان بهذا السبب فى الجاهلية أقوى منه فى الاسلام ، فكان فى الجاهلية قويا حينما كان يسلك به مسالك اولئك الفحول ، ثم ضعف فى الاسلام حينما سلك به غير هذه المسالك من مراثى النبی صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم

وقد سار الناس على ذلك من يوم ان تكلموا بعد الاسلام فى علم الادب الى عصرنا الحاضر ، يقدمون فى كل عصر من شعرائه من يسلك فى باب الشر مسلك اولئك الفحول ، ويجعلون الخطيئة الشاعر الهجاء شاعر المخضرمين ، ويجعلون الفرزدق وهو من الهجائين أيضا شاعر الاسلاميين ، ويجعلون بشارا وهو ايضا من الهجائين شاعر المحدثين ، فاصبح الشعر بذلك فى الاسلام أداة شر مثل ما كان فى الجاهلية ، وضاعت جهود الاسلام فى اصلاحه وتقويم معوجه ، حتى صار كثير من المسلمين لا يعرفون ان للاسلام فى شعر العرب من الاصلاح الادبي ما لا يقل فى خطره عما جاء به فى أمورهم الاخرى من الاصلاح الدينى

(١) الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء ص ٦٢ طبع المطبعة السلفية

فقد شب النبي صلى الله عليه وسلم والشعر العربي آخذ في تلك الأبواب من الشر التي يقال أنه لا يقوى إلا فيها، فكان من عناية الله به أن حفظه منه، وحكى ذلك رسول الله بعد بعثته فقال (لما نشأت بغضت إلى الأوثان وبغضت إلى الشعر) فلم يكن شعرهم في فسادة يقل عن أوثانهم في فسادها فبغضا إليه معا، فلما بعث صلى الله عليه وسلم ونزل عليه القرآن وقال المعارضون فيه أنه شاعر يجيد سبك الكلام قال الله لهم (وما علينا الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وقال أيضا (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وهو في ذلك لا يكتفى بنفى تهمة الشعر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل يتخذها وسيلة لدم شعرهم وأوديته التي يهيم أصحابه فيها ، ويزعم الأصمعي وأضرابه أنها أبوابه التي تتجلى فيها قوته ، فيذكر الله أنها أسباب فسادها وضعفه ، ويذكرون أنها أسباب حسنه وقوته ، ثم يمدح الطرق التي يأخذ بها شعراء المسلمين ويستثنى منهم مذهبهم من الشعراء (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فلا ترضى الأصمعي وأضرابه تلك الطرق ، ويقولون أن الشعر لم يضعف إلا بها ولا شك أن الأصمعي إذ يذهب إلى ذلك إنما يرى أن الشعر ألفاظ ومعان وأخيلة لا غير ، فإذا قويت في باب الشر كان طريقها طريق أولئك الفحول من الشعراء ، وإذا ضعفت في باب الخير ولا بد أن تضعف على زعمه فيه لم تكن من الشعر في شيء .

ولا شك أن القرآن الكريم إذ يذم تلك الطرق التي يتعصب لها الأصمعي إنما يرى أن الشعر حكمة مصدرها الوحي والالهام من الله تعالى ،

ولا يراه لهواً وعبثاً يصدر عن وحى الشياطين (هل انبشكم على من تنزل
 الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم) وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
 كان يسمى شعر حسان بن ثابت وغيره من شعراء أصحابه حكمة ولا يسميه
 شعراً ، وقال أيضاً ، إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة ، فالشعر
 في الاسلام هم حكماء الامم وقادتها ، ورسول الخير والرشاد فيها ، وليسوا
 أولئك العابثين بالشعر في اللهو ونحوه من الضروب التي يعبثون فيها بشعرهم
 وهذا هو إصلاح الاسلام في الشعر وميزانه عنده ، فهو يوزن فيه
 بموضوعه وأغراضه قبل أن يوزن بألفاظه ومعانيه وأخيلته ، ولا بد عنده
 من كل منهما فيه ولكن نبل الموضوع قبل فخامة اللفظ ، وشرف الغرض
 قبل جزالة المعنى ، فاذا لم يكن شريف الغرض كان عبثاً لا شعراً ، وإذا لم
 يكن حسن اللفظ والمعنى كان نظماً ولا يسمى شعراً أيضاً ، ولكنه لا يبلغ
 أن يكون عبثاً

فاذا كان الشعر في أغراض شريفة في ذاتها كالحكمة والموعظة الحسنة
 ووصف محاسن الطبيعة في سمائها وأرضها وبحارها وأنهارها وجبالها وسهولها
 والترغيب في الفضائل ومحاربة الرذائل ونشر عقائد الدين الصحيحة وبث
 روح النهوض في الامم ومحاربة عوامل الضعف فيها وما إلى ذلك من
 الأغراض الشريفة في ذاتها فذلك هو الشعر الحسن في ذاته ، والذي تباهى
 به الامم بعضها بعضاً ، ويمكن أن ينقل من لغة إلى لغة فتشرف به اللغة التي
 نقل منها عند أهل اللغة التي نقل إليها

وإذا كان في المدح وجب أن يتوخى فيه الصدق ، وأن يصاب عن
 التكسب والاستجداء ، فلا يصف الممدوح إلا بما فيه ، ولا يمدحه إلا بما

يستحق به المدح في شخصه ، فيكون مدحه تشجيعاً له على المضى في سبيله ،
وحملًا لغيره على الاقتداء به ، بخلاف هذا المدح التجارى الذى يشترى
بالمال ، ويجعل الظلم عدلاً ، والقبيح حسناً ، وينشر فى الامم الرياء والملق ،
ويهدم الفضائل والخصال الشريفة

وإذا كان فى الهجاء وجب أن يحارب به الرذيلة وأصحابها ، وأهل
الباطل الذين يحاربون الامم فى نهوضها أو عقائدها الصحيحة التى تدين بها ،
فاذا اتجر به كالمدح وأرهب به الشاعر الناس ليعطوه كان أثره فيهم أسوأ
من أثر ذلك المدح التجارى ، وأزال من بينهم خالق الحياء ، ونشر بينهم
السلطة والبذاء

وإذا كان فى التشبيب وجب أن يكون عفيفاً يصف المحاسن فى اعتدال
ولا يجاوز ذلك إلى ذكر أمور لا يرضاها الخلق ، ولا تبيحها العفة
وهكذا كل تلك الابواب التى يزعم الاصمعى أن الشعر لا يقوى إلا
فيها إنما يحسن فيها الشعر إذا ابتعد به عن جانب الشر فيها ، ولم تتجاوز الحد
المقبول منها

وهذا حكم الله ورسوله وسار الخلفاء الراشدون على منواله ، فأخذ
الادب العربى فى ذلك العهد المصالح ينهج منهاجه الصالحة ، ويستن سننه
المستقيمة ، ويشمر فى ذلك ثمرأ صالحاً وهو لم يجاوز بعد عهد طفولته ،
والشعراء لم تنهأ نفوسهم تماماً له ، ولم تتخلص من قيود ماضيها الجاهلي

ولكن الحظ السىء لهذه الامة أبى إلا أن يعاجلها فى ذلك العهد ،
ويحرمها منه قبل أن يوثق فيها أكله ، ويقضى على أديها الاسلامى وهو
لا يزال فى مهده ، فيعود الادب فيها إلى نزعتة الاولى أعرايياً جافاً كما كان

قبل الاسلام ، بدويا متعجرفاً لا أثر فيه لثقافة عالية أو حضارة راقية ، ثم يطغى هذا الادب الفاسد على الناس ويستهوئ نفوسهم ويلعب بعقولهم فلا يعرفون غيره ، ولا يدرسون إلا آثاره ، ولا يقدمون إلا رجاله ، وتمضي تلك القرون على الشعر العربي فلا تجد فيه من الشعر العالمي الذي تتباهي الامم به وتتناقله بينها مثل ما يوجد في شعر الامم الاخرى من ذلك الشعر العالمي ، ولو أن ذلك الادب الاسلامي لم يوأد في مهده لكان لنا الآن منه أدب عالمي كثير نفاخر به من يفاخرنا بأدبه العالمي ، ولم يكن لنا من دواوين الشعر ذلك العدد الذي تنوء الدنيا به ، فإذا أغرقته في بحر من بحورها الواسعة لم تجدك خسرت شيئاً به ، أو ضاع منك ما تحزن على فقدته

ألا إنه يجب أن يصلح درس الادب ، وأن يخلص من تلك النزعات الجاهلية ، وأن يوزن بذبله وشرفه وثقافته قبل أن يوزن بألفاظه ومعانيه وأعرابيته ، وأن يقدم فيه من قدمه الله ورسوله ، ويؤخر فيه من قدمه الاصمعي وأضرابه ، فهناك يستقيم للامة أديها ، ويؤدي وظيفته الصالحة فيها

الشعر الحضري والبدوي

ليس تعصب الاصمعي وإخوانه وهم جمهور علماء الاثب على الشعر الاسلامي إلا لتعصبهم للشعر البدوي على الشعر الحضري ، وإيثارهم خشونة البداوة على رقة الحضارة ، وعنجهية البوادي على ثقافة المدن ، وعجرفة الأعراب على تهذيب أهل الحضر ، وقد ذهب هؤلاء العلماء في هذا التعصب الى أبعد حدوده ، فتحفظوا من رواية الشعر الحضري ، وأضاعوا علينا منه كل ما قاله شعراء أهل الحواضر في دولتي المناذرة والغساسنة ، ولم

يرووا لنا مما قيل في هاتين الدولتين من الشعر إلا الذي يمت في أصله إلى البادية ، ويكون رجاله من النازحين منها إلى حضرهما مثل النابغة الذبياني في دولة المناذرة ، وحسان بن ثابت في دولة الغساسنة ، كأن الشعر كان وقفافي هذا العصر على رجال البادية ، ولم يكن له في حضر هاتين الدولتين عوامل أكثر من عوامله فيها ، والذي لا يقبل العقل غيرد انه كان هناك شعراء من اهل الحضر في هاتين الدولتين ، وانه كان لهم شعرا أكثر من شعر اهل البدو ، والتعصب الاعمى وحده هو الذي أضاعه علينا ، وحرمانا بذلك من فوائد أدبية وتاريخية جلية ، ولو وصل اليها لتغير نظرنا إلى شعر هذا العصر ، ولم يكن مطبوعا عندنا بطابع الصحراء الذي نطبعه به

قال ابو نصر الفارابي في اول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف : كانت قریش أجود العرب انتقاءً للافصح من الالفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا وأبينها لإبانة عما في النفس ، والذين نقلت عنهم العربية وبهم اقتدى وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم (قيس وتميم واسد) فان هؤلاء هم الذين عنهم نقل أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف بثم (هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين) ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري عن يسكن اطراف بلادهم المجاورة لساكن الامم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ عن لخم ولا عن جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا عن قضاة وغسان وإياد لمجاورتهم اهل الشام ، واكثرهم نصارى يقرمون بالعبرانية ، ولا من تغلب والنمر فانه كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من عبد القيس وأزد عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند

والفرس ، ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة
وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين
عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدوا
ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت السنتهم

فهذه القبائل العربية كلها أهمل أدبها وأهمل الاخذ عنها لاتصالها بأهل
الحضر أو بتلك الامم التي عد اتصالها بها عيباً فيها فلم ينقل شيء من أدبها
في عصر أولئك العلماء الذين عنوا بنقل اللغة ، وكذا فيما قبله من العصور ، لان
أكثر تلك القبائل العربية قديم الاتصال بتلك الامم ، فسقطت به عريبتها
عند أولئك العلماء من عهد اتصالها بها

وقد كان على أولئك العلماء أن يعرفوا ان حاجتنا الى عربية هذه القبائل غير
الخالصة لا تقل عن حاجتنا الى عربية القبائل البدوية الخالصة ، وكما كانت
حاجتنا شديدة الى معرفة هذا الادب العربي الذي تآثر بتلك الامم المتحضرة
وعد التعصب الاعمي هذا سيئة فيه ، وهو خليق بان كان يعد من حسناته
ويحرص بسببه على روايته ، واذا كان للادب البدوي خلوص عريته فللادب
الحضري تهذيبه وثقافته ، وقد تكون هذه الميزة عند بعض الناس أحق
بالعناية والحرص عليها من تلك الميزة

ولكن أولئك العلماء ، لم يكونوا في عصرهم يشعرون بحاجتنا نحن الآن
الى ذلك ، وإنما كان يملك عليهم كل أمرهم شيء واحد هو حفظ اللغة العربية من
الفساد الذي أخذ يتسرب اليها من اللغات الاخرى ، ولم يكن علاج ذلك عندهم
إلا بتدوين العربية الخالصة التي لم يتسرب الى أهلها ذلك الفساد في عصرهم
أو قبل عصرهم ، فاخذوا ينتجعون البوادي من أجل ذلك ويقيمون فيها أكثر

أوقاتهم ويأخذون عن أهلها علومهم ، فتأثروا بهذه العوامل في نظرهم الى
الادب العربي ، وأصبحوا الا يمكنهم بعد التأثر بالبيئة البدوية وعلومها إلا
أن يتعصبوا للادب البدوي على الادب الحضري ، ولو لم يفعلوا ذلك
لكانوا متناقضين مع أنفسهم ، لأن علمهم لم يرق إلا على اساس اتهام الادب
الحضري وعدم الثقة به ، والوثوق بالادب البدوي الذي لم يكن تسرب اليه
لحسن حفظه شيء من اللحن في عصرهم ، ولو أن الزمن تأخر بهم إلى الوقت
الذي تسرب اليه اللحن فيه أيضاً لكانوا على الاقل أخف في تعصبهم للادب
البدوي على الادب الحضري. ونحن الآن نرى أنه كان يمكن تدوين العريضة
الخالصة وأدبها وحدهما ، وتدوين عريضة ذلك الحضري وتلك القبائل المجاورة
لتلك الامم وأدبها وحدهما ، فكنا نجمع إلى حفظ العربية الخالصة حفظ
تلك العربية المتأثرة بتلك الامم ، فربما كان في ادبها خير كثير حررنا الآن
منه ، وربما كان ذلك الادب لا يقل حاله عن الادب العربي في العصر العباسي
حينما تأثر بمثل ما تأثر هو به ، وتوجد نصوص قليلة عميت عنها عين ذلك
التعصب تدل على ان ادب الحضري في ذلك العهد كان ارقى من ادب البدو ،
وانه تأثر فيه بمثل تلك الامور التي تأثر بها الادب العباسي ، قال محمد بن
سلام : لم يقو احد من الطبقة الاولى ولا من اشباههم إلا النابغة في بيتين
قوله :

امن آل ميسة رايح او مغتد عجلانص ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الاسود
وقوله :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كائن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد
 فقدم يثرب فعيب ذلك عليه فلم يابه له حتى اسمعوه إياه في غناء ، واهل
 القرى الطف نظرا من اهل البدو وكانوا يكتبون لجوارهم اهل الكتاب ، فقالوا
 للجارية اذا صرت الى القافية فرتلى ، فلما قالت (الغراب الاسود) و (يعقد)
 و (باليد) علم فانتبه فلم يعد فيه ، وقال (قدمت يثرب وفي شعري ضعة
 ورحلت عنها وانا اشعر الناس)

وقد خلاص الينا من بين برائن ذلك التعصيب آثار قليلة من ذلك الادب
 الحضري منظورا إليها منه بعين البغض ، وقد آن لها أن تأخذ حقها من
 الانصاف في عصرنا الحاضر الذي أصبح لا يرضيه ذلك الادب البدوي ،
 ولكنه يأخذ بما يأخذه عليه كل الادب العربي ، وينسى ذلك الادب الذي
 حرمانا منه بتعصب أولئك العلماء عليه ، والذي أراد الاسلام أن يأخذ
 الأدباء به فأبوا إلا أن يأخذوا بالادب البدوي ؛ ويجعلوا رجاله قدوتهم
 وأئمتهم :

ولا نريد من هذا إلا أن الادب الحضري في جملة كان خيرا من الادب
 البدوي في جملة ، وقد يوجد من أدباء البدو من كان خيرا من بعض أدباء
 الحضرة ، ومن أدباء الحضرة من كان في أدبه أقل من بعض أدباء البدو ، وهذا
 لا يخص الفاظ الشعر وحدها وما إليها من معانيه وأخيلته بل يكون في
 موضوع الشعر أيضا وأغراضه ، وللحضر شره وفساده كما للبدو شره وفساده
 ولا نريد أيضا أن ننصر من ذلك الادب ما كان ينحط بين تلك القبائل
 في أطراف الجزيرة وتأثرها بتلك الامم إلى درجة العامية ، بل نريد من ذلك
 الادب ما حافظ مع تأثره بهذا على صبغته العربية كما حافظ الادب العباسي

فى تائره بمثل ذلك على تلك الصبغة أيضا ، وهذا كأذب أمية بن أبى الصلت
وغيره من أدباء ذلك العهد ، ممن جمعوا الى ثقافتهم العربية ثقافات أخرى
غير عربية ياخذها أولئك المتعصبون عليهم ، ويؤخرونهم بها عن غيرهم

امرؤ القيس

هو حندج بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، وهم
ملوك كندة المعروفون ، ويلقب امرؤ القيس والملك الضليل وذا القروح (١)
ويكنى أبا وهب أو أبا الحارث أو أبا زيد
وأمه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير التغلبية ، وهى أخت كليب
ومهلل ابني ربيعة التغلبيين

ولم يتفق النسابون كلهم فى هذا النسب ، وبعضهم يقول ان اسمه
امرؤ القيس لا حندج ، وبعضهم يقول ان اسمه قيس فقط ، وقال بعضهم ان
اسم أبيه عمر ولا حجر ، وقال بعضهم ان اسم امه تملك لا فاطمة ، وقال
بعضهم إنه لم يكن له ولد ذكر يكنى به ، وقال بعضهم إنه كان يشهد بناته فلم
يكن له اولاد ذكور ولا إناث ، وقال بعضهم إنه كان له بنت يقال لها هند ،
وقيل إنها كانت أخته لا بنته

وقد أراد بعض أدباء عصرنا أن يستغل هذا الخلاف فى انكار وجود
هذا الشاعر لجعل قصته اسطورة خيالية لا سيرة حقيقية لشخص حقيقى ،
فهى عنده موضوعة فى حوادثها ، موضوعة فى شعرها ، موضوعة فى كل شئ
فيها ، ولا تمثل شيئا كان له حقيقة . ولا شك أن هذا الخلاف لا يصح أن

(١) لقب بذلك من اجل علة القروح التى مات بها

يستغل في ذلك ، وأنه لو كان امرؤ القيس أسطورة من الاساطير لكان أمره عند علماء النسب أهون من أن يختلفوا هذا الخلاف الكثير في أمره ، فهو أجدر بالدلالة على شخص حقيقي منه بالدلالة على شخص خيالي ، وكما من رجال حقيقيين في العرب وغيرهم وقع في نسبهم من الخلاف مالا يذكر بجانبه هذا الخلاف في نسب امرئ القيس . ومن هؤلاء الرجال أبوهريرة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد اختلفوا في اسمه في الجاهلية والاسلام وفي اسم أبيه خلافات كثيرة حتى ذكروا له نحواً من عشرين اسماً . ولأبيه نحو خمسة عشر اسماً ، وأبوهريرة شخص حقيقي لا ينازع احد في وجوده ، ومن هؤلاء الرجال هوميروس الشاعر اليوناني صاحب الإلياذة المعروفة ، فقد اتفقوا على أن (هوميروس) لقبه لا اسمه واختلفوا في معناه وسبب تلقيبه به ، فقيل إنه بمعنى الرهينة ، وكان قد أسر في حرب فلقب به وقيل إنه بمعنى المتكلم في المجلس أي الخطيب والمشير إلى غير هذا مما قيل في معناه ، ثم اختلفوا في اسمه فقيل إنه كان يسمى ميونيدس أي ابن ميون ملك ليديا ، وكان تزوج أمه (كريثيس) وهو طفل على يدها فدعاه باسمه ، وهو يعتقد أن أباه من الجن ، وقيل إن أباه كان يسمى داماسوغوراس ووالدته اثرا ولدته في مصر وربته بنت كاهنها (اوروس) وذكر هيرودوتس أن اسم هوميروس ميليسجينييس أي ابن النهر ميليس ، وأن أمه ولدته في ازمير ، وقد رجحوا رواية هيرودوتس على غيرها وأن كانت لا تخلو من بعض ما آخذ فيها ، وكان أرسطو الفيلسوف شديد الإعجاب بهوميروس وقد نسبته إلى آلهتهم ، فذكر أن طائفة من قرصان ازمير سطت على فتاة من جزيرة يوس وهي خبلى من أحد الآلهة ، فاحتملوها إلى بلدتهم ، فولدت لهم هذا الشاعر ، وهذا

قليل من كثير من خلافاتهم في شأن هو ميروس ولم يصل الخلاف في امرى القيس الى هذا الحد من خلافاتهم فيه ، ويظهر ان هذه الخلافات من حظ كل شخص اشتهر بلقبه او كنيته دون اسمه ، فاذا تقدم عليه العهد ذهب الناس في البحث عن اسمه تلك المذاهب ، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم وكان لآباء امرى القيس من كندة ملك في نجد على قبائل معد بن عدنان ، ولا بد قبل الكلام في تاريخ حياته ودرس شعره من درس بيئته المكانية والقومية وما كان يحيط به فيها من العوامل التي كان لها اثرها في حياته وشعره ، لان الشاعر يتاثر بذلك في سيرته اكثر مما يتاثر بدخيلة نفسه ، وكثير من الناس تخفى عاينا دخائله ، ويعيش في هذه الحياة في مظهر يلائم بيئته اكثر مما يلائم باطن امره ، وان كان اثر ذلك قد يظهر احيانا عليه :

ومهما يكن عند امرى من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

نجد

تقع نجد في قلب بلاد العرب بين الحجاز واليمامة ، ويرتفع سطحها بين ٥٠٠٠ قدم في الغرب و ٢٥٠٠ في الشرق ، واكثر ارضها سهل رملي في بعض الجهات بركاني في بعض آخر منها ، ويوجد فيها جبال كثيرة منها جبلا اجا وسلمى وهما جبلا طيي ، ولا تخلو مع ذلك من اودية كثيرة تجري فيها مياه الامطار في بعض فصول السنة ، وأعظمها وادي الرمة وهو يسيل من حرة خيبر ويتجه إلى الشمال الشرقي متوسطا القصيم ، مارا بين أبانين ، مخترقا نجدا كلها حتى يقرب من مدينة البصرة ، وهو يضيق في بعض الجهات ويتسع في بعضها حتى يبلغ فيها مسيرة يوم ، وتصب فيه اودية كثيرة في أكثر الجهات التي يمر بها ، ولكن ذلك كله لا يكفي لآن يجعل منه نهرا دائم الجريان

لقلة أمطار تلك البلاد ، واتساعه الى ذلك الحد في بعض الجهات ، فلا يجري
 ماؤه الا قليلا ، وتذهب مياهه في باطن الارض ، ثم تفيض في الرمل وتنبجس
 عيوننا في جهات كثيرة تقصدها القبائل ، وتنشئ حولها القرى والمزارع
 وقد أثر موقع نجد في تلك البقعة من بلاد العرب في طيب ارضها ،
 فكانت أطيّب بلاد العرب في مناخها وهوائها وطبيعة أرضها ، وكانت فيها
 معادن الفصاحة العربية الخالصة ، والشعر العربي البدوي الذي لم يشب بشيء
 من العجمة ، وقد سارع الفساد الى لغة العرب بعد ظهور الاسلام واختلاط
 العرب بالعجم ، فلم تثبت العربية الفصحى في بلد من بلاد العرب أمام ذلك
 الفساد ما ثبتت بين نجد وأهلها ، وخصوصا جبل عكاد الذي ثبتت العربية
 بين أهله الى آخر القرن الرابع الهجري

وكان يوجد بنجد من القبائل العربية طيء في شمال نجد بجبليها أجا
 وسلي ، وبكر وتغلب بعالية نجد ، وعنزة وأسد في شمالي وادي الرمة ، وهوازن
 وسليم غربي نجد ، وغطفان وعبس وذيان شماليها ، وتميم شرقيها ، الى غير
 ذلك من قبائلها

ويذكر أكثر هذا القبائل في القبائل العربية التي تعد أفصح قبائل العرب
 ذكر علماء اللغة أن أفصح القبائل من أخذت اللغة عنهم قيس وتميم وأسد
 العجز من هوازن الذين يقال لهم عليا هوازن ويقول فيهم أبو زيد : أفصح
 الناس سافلة العالية وعالية السافلة ، يعني عجز هوازن وهم خمس قبائل أو أربع :
 سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وأما أهل العالية
 فهم أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ومن دنا منها ، ولم يكونوا في الفصاحة
 مثل أهل السافلة

وكما يذكر أكثر قبائل نجد في أفصح قبائل العرب يذكر كثير منها

في قبائل العرب الخالص الذين كانت بلادهم من أعظم مواطن العربية الخالصة ومن تلك القبائل قبائل كانت تسمى الارحاء لأنها كانت تحوز دورا ومياها لا تنزح عنها بل كانت تدور فيها كالارحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضهم في البرحاء والجذب ، ولم يكن يحصل هذا لهم إلا في نادر أوقاتهم ، ومن قبائل الارحاء تميم بن مرة وأسد بن خزيمة وكنب بن وبرة وطي بن أدد ومن تلك القبائل أيضا قبائل تسمى الجمرات من التجمير وهو التجميع لاجتماعهم على ألا يخرجوا منهم أحدا الى غيرهم ، ولا يدخلوا من غيرهم أحدا فيهم ، وهم أربع قبائل : بنو تميم بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب وبنو ضبة وبنو عيس بن بغض

كندة و تغلب

(١) كندة : كان لكندة دولة بنجد ملوكها آباء امرئ القيس ، وقد اتفق النسابون على أن كندة من عرب الجنوب القحطانيين تنسب إلى أبيها كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقد اختلفوا بعد ذلك في سبب هجرتها من الجنوب إلى نجد بالشمال مسكن العرب العدنانيين ، فالأكثرون منهم على أن هذه القبيلة كانت تقيم في الجنوب بالبحرين في حصن المشقر ، ثم أجليت منه الى حضرموت في زمن لا يمكن تعيينه وعددهم فيما يقال نحو ثلاثين ألفا ، فأقامت بحضرموت في بلد عرف باسمها (كندة) ثم نزحت إلى مهرة وكانت قصبتها تسمى دمون ، فأقامت هناك مدة من الزمن ، وكانت تلك البلاد في حكم إخوانها الخيريين ، فاستخدموا رؤسائها وكبارها في بعض أمورهم ، وصار يدخلونهم في حاشيتهم ، الى أن

كان عهد حسان بن تبع الحميري ، فارتفع شأن الكنديين في دولته ، وكان سيدهم حجر بن عمرو أخاه لأمه ، وقد شاركه في كل حروبه وفتوحه في بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها ، فكافأه حسان على ذلك بأن ولاد قبائل معد العدنانية كلها ، وهي قبائل بدوية متفرقة في البوادي الشمالية ، فقدم حجر إلى نجد ونزل بطن عاقل ، وكانت قصبة دولته ، وكان هو أول ملوك كندة وذكر اليعقوبي أن كندة نزلت من حضرموت إلى أرض معد بعد حرب كادت تفتيها ، فجاءت عرب معد وملكوا عليهم رجلا منهم اسمه مرتع بن معاوية بن ثور وهو أول ملوكهم ، وبينه وبين حجر بن عمرو أربعة ملوك حكموا قبل حجر ، وعلى ما ذكره اليعقوبي تكون إقامة الكنديين بين عرب الشمال أقدم مما ذكره غيره في الرأي الأول

ولما مات حجر بن عمرو خلفه ابنه عمرو بن حجر ويسمونه المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ، ثم مات عمرو فقام من بعده الحارث ابنه وفي عهده استولت الحبشة على اليمن وأذهبت دولة حمير ، فزالت سيادتها عن كندة واستقل الحارث بدولة آبائه ، وأخذ ينافس دولة المناذرة بالعراق في تقريبهم من العجم ، وكان ملك المناذرة على عهده المنذر بن ماء السماء ، وملك العجم قباذ أبو كسرى أنوشروان ، وقد ظهر مذهب مزدك في بلاد العجم على عهد قباذ ، وهو مذهب اشتراكي إباحي يرمي إلى اشتراك الناس في الأموال وغيرها ، فانتصر قباذ له ونشره في دولته ، وأراد أن يأخذ به المنذر بن ماء السماء فإني أن يأخذ به ، فعزله عن الخيرة وولى عليها الحارث ابن عمرو حينما وافقه على المزدكية ونشرها في كندة ، فعظم بذلك ملك الحارث ، وأتته قبائل معد تهنته بالخيرة وتطلب منه أن يملك أبناءه عليها ، ففرق فيهم بنيه الأربعة :

(١) حجرا على بنى أسد وغطفان

(٢) شرحيل على قبائل بكر

(٣) معد يكرب على قبائل قيس عيلان

(٤) سلمة على تغلب والنمر

ولم يطل الاثمد على المزدكية ببلاد العجم، فان قباذلم يلبث أن مات فتولى ابنه أنوشروان وناهض المزدكية حتى أبطلها، وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى الحيرة، فهرب منها الحارث بما له وأولاده حتى نزل ببني كلب، وما زال المنذريه وأولاده ملوك القبائل يحاربهم، ويغري قبائلهم عليهم، ويوقع بينهم حتى أضعف دولتهم

وكان حجر بن الحارث ملك بنى أسد أعظم أولاد الحارث شأنًا، وكان له عليهم إتاوة يؤدونها له كل سنة، فلما فعل المنذر ذلك بدولتهم تغير عليه بنو أسد، وامتنعوا من أداء إتاوته لرسله وطردهم إليه، فسار إليهم بجيش من ربيعة واعانه أخوه معد يكرب بجند من قيس، فأتاهم فأخذ سراهم وجعل يقتلهم بالعصا حتى سموا عبيد العصا، ثم صيرهم إلى تهامة وكان يقيم بها رآلى ألايسا كنوه فى بلد أبدأ، فسيرهم ثلاثا حتى استشفع فيهم إليه شاعرهم عبيد بن الأبرص بقصيدة يقول فيها :

يا عيين فابكى ما بنى أسد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر والنم الموبل والمدامة
وذوي الجياد الجردوا أسل المثقفة المقامة
إما تركت تركت عفا وأوقنت فلا ملامه
أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم حجر وعفا عنهم وأعادهم إلى بلادهم، ثم عادوا إلى العصيان عليه

حتى قتلوه وقد ترك عددا من الأولاد أكبرهم نافع ، وأصغرهم شاعرنا أمرؤ القيس

فهذه دولة كندة من نشأتها إلى أن تصل إلى امرئ القيس شاعرها ، وهي على ذلك من أصل قحطاني باتفاق علماء النسب ، وكانت دولة بدوية لم يكن فيها من آثار الحضارة مثل دولتي المناذرة والغساسنة ، ولم تطل مدتها حتى تذهب عنها آثار البداوة ، وكانت في الدين على وثنية الحميريين ، ثم تركتها إلى المزدكية لتنافس بها دولة المناذرة وتملك بها الحيرة ، ولابد أنها عادت إلى وثنياتها بعد أن خرجت من الحيرة ورجعت إلى مقرها بين وثنية البادية ، وقد يكون للمزدكية أثر بعد ذلك بينها . وهذه هي الأمور التي تهمنا من درس بيئة امرئ القيس من ناحية أبيه وقومه ، وليس فيها كلها شيء عندي إلا نسب كندة قوم امرئ القيس إلى قحطان دون عدنان ، فقد يشير الشك في ذلك قول امرئ القيس يتوعد قتلة أبيه :

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا تالله لا يذهب شيخي باطلا
حتى أبيد مالكا وكاهلا القاتلين الملك الخلاحلا
خير معد حسبا ونائلا وخيرهم قد علموا شمائلا

فالظاهر أن قوله (خير معد) يرجع إلي شيخه وهو أبوه كما يرجع إليه الوصف قبله ، ولا يصح ذلك إلا إذا كان من عدنان دون قحطان ، وشرح شعره يقولون إن ذلك وصف لعامر وكاهل قاتلي أبيه ، يريد أنه لا يقتل بأبيه إلا أشراف معد منهم ، فيحملونه في ذلك وصف أعدائه بأنهم خير معد ، وهذا شيء تأباه النفس في أعدائها ، لاسيما أن بني أسد لم يكونوا خير معد ، ولا يصل شأنها في معد إلى هذا الحد ، ولو كان يريد ذلك لساق شعره هذا المساق :

حتى أيد مالكا وكاهلا خير معد حسبا ونائلا

ليكون هذا الوصف خالصاً لهم ، ولم يأت به على هذا الشكل الذي لا ينكر
أحد أنه ظاهر في أيه دونهم ، وقد كان امرؤ القيس يستنجد في ثأر أيه
بقبائل العرب العدنانية والقحطانية ، ولم يكن يريد أن يجعلها حرباً بين
القحطانيين والعدنانيين ، وكان أول من أجابه وساعده في ذلك أخواله من
بكر وتغلب وكانوا من العدنانيين

ومما يؤيد ذلك قوله أيضاً يفتخر :

وأنا الذي عرفت معد فضله ونشدت عن حجر بن أم قظام
فيذكر معداً في فخره دون قحطان ، ولو كان من قحطان لذكرها في فخره
دون معد ، ويقول شراح شعره إنه يريد أن معداً وهم بعيدون عن نسبه أقروا
بفضله ، فقحطان قومه أجدر منهم بأن يقرؤا به ، وهو تكلف لم يحملهم
عليه إلا ما ذكره علماء الأنساب من أن كندة من قحطان ، وليس كل
ما يذكره علماء الأنساب يجب أن يؤخذ قضية مسلمة ، وقد دخل أنساب
القبائل تخليط كثير ، حتى ذكر ابن خلدون في مقدمته أن بعضاً من أهل
الأنساب قد يسقط إلى أهل نسب آخر بقراءة اليهم أو حلف أو ولا فينتهي
إلى نسبهم وينسب نسب الأول بطول الزمن ويذهب أهل العلم به فيخفى
على أكثرهم وما زالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم قوم
بآخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم ، فليس من البعيد أن يكون
هذا شأن كندة مع حمير حين اتصلت بها ، فظن الناس أن نسبها يتصل بقحطان
مثلاً ، ثم طال على ذلك الزمن حتى أخذ علماء الأنساب قضية مسلمة

(٧) تغلب : كانت فاطمة أم امرئ القيس من هذه القبيلة ، وقد تأثر بها
في شخص أمه وأخواله ، وهي إحدى قبائل ربيعة العدنانية ، وكان بينها وبين

اليمن عداً شديداً ، وحروب استمرت بينهما بسبب ما كانت تلاقيه من ظلم ولادة حمير عليها ، وقد انتهت تلك الحروب بفوزها في يوم خزاز على قبائل اليمن ، وكان كليب خال امرئ القيس قائدها فيه ، وكانت الحبشة قد استولت على اليمن فتمكن قبائل ربيعة أن تغلب على ولايتها ، وتفوز على قبائلها لذهاب مددها من دولة حمير ، ولا يخفى أن دولة كندة كانت ظاهرة في ذلك الوقت ، فيمكنك أن تأخذ من عدم تعرضها لقبائل ربيعة في حروبها مع أهل اليمن وتزوج ملكها حجر بفاطمة بنت ربيعة زعيمها في تلك الحروب دليلاً آخر غير ما تقدم على أنها غير يمنية الأصل ، وفي قوة هذا الدليل أيضاً عدم تعرضها للحبشة في حربها مع دولة حمير ، وأنها ما كادت تتخاص منها حتى نسيتهما كأن لم تكن تابعة لها ، ثم أخذت تنشئ لها علاقات أخرى مع دول غيرها

وكان مهمل خال امرئ القيس شاعراً فارساً واسمه عدى ، وإنما لقب بالمهمل لانه فيما يقال أول من همل الشعر أى رققه وأطاله ، وكان قبله مقطعات صغيرة ، وكان يعيش في حياة أخيه كليب عيشة مجون ولهو ، يجتمع فيها بالنساء ويختلط بهن ، حتى لقب زير نساء أيضاً لقبه بذلك أخوه كليب ، وكانا يعيشان معا بعالية نجد بين قومهما من تغلب وبكر ، ويجاوران فيها دولة كندة ، فلما وقعت حرب البسوس بين القبيلتين وتفرق أمرهما ادخلتهما هذه الدولة في ملكها ، وملك الحارث بن عمرو ابنه شرحبيل على بكر ، وملك ابنه سلعة على تغلب ، فاتصل امر هذه القبائل بعضها ببعض ، وجمعت بينها تلك الدولة في تلك البقعة من بادية نجد ، ونشأ فيما بين ذلك كله شاعرنا امرؤ القيس

حياة امرئ القيس

(١) في شبابه : نشأ امرؤ القيس في ظل ملك بدوى لا يعنى بثقافة ولا تعليم وإنما كل ما فيه من ذلك الشعر الذى انصرفوا اليه عن كل شىء سواه ، واستعانوا به في حياتهم اللاهية ، حتى استعملوه في طوهم أكثر مما استعملوه في جدهم ، فشبوا به في النساء ، وتغنوا به في الخمر ، وترنموا به في الفخر ، وبكو الديار ، ووقفوا على الدمن والاطلال ، ولم يجاوزوا ذلك ونحوه الى جد الحياة الا قليلا لا يذكر معه ، وكان أبوه ذلك الملك الجبار الذى لم يعن بامور رعيته واصلاح شؤونها ، مثل عنايته بحماية امواله ، ليصرفها في شهواته ولذاته ، وكانت امه فاطمة اخت كليب ومهلل ابني ربيعة ، ولم يكن كليب في عتوه باقل من حجر والدامري القيس ، وقد بلغ من عتوه انه كان يحصى مواقع السحاب فلا يرعى احد حماءه ، حتى ضرب بعزته المثل فتميل (اعز من كليب) وقد قضى مهملل شبابه في الشعر والمجون واللهو ، ولم يعن بشىء من امر اخيه كليب حينما اُقت قبايل بكره قبايلد أمورها اليه بعد انفصالها عن اليمن ، فكان كليب لا يعجبه ذلك منه ويلقبه زير نساء من اجله ، فلما قتل كليب صحاب مهملل من سكره ، واخذ يطالب بثاره ، ويشتط في ذلك اشتطاط من لم يعن بالحياة ، وقضى اوقاته في اللهو مثله ، وقد استمرت حرب البسوس بين بكر وتغلب من اجل كليب نحوًا من اربعين سنة

فكل شىء كان يحيط بامرئ القيس في تلك البيئة كان يغريه بحياة اللهو والشعر ، وبأن ينصرف عن امر ابيه انصرف خاله مهملل عن امر اخيه ، وقد كان اصغر اولاد ابيه حجر فلم يطمع في ملكه واختار عليه جانب اللهو فيه ، وكان الشعر من اعظم اسباب اللهو في تلك البوادي الغافلة عن جد

الحياة ، فطالبه امرؤ القيس من أجله حتى إذا اجتمع بالنساء أنطقه بذكر
محاسنهن وتفنن في وصف جمالهن ، وإذا جلس الى الخمر أنطقه بذكرها
ووصف مجالسها ، وإذا ذهب الى الصيد أنطقه بوصف الخيل التي يصيد
عليها والآلات التي يصيد بها ، وهذا الى استعداد الوكاثر للشعر من جهة
أمه وأخيها مهلهل ، ومن جهة أبيه أيضا إذ كان جده الأعلى حبرا كل
المرار يقول الشعر ، وكذلك عمه سلمة بن الحارث ومعد يكرب بن الحارث
وقد اختار امرؤ القيس شاعرين وجد عندهما من الشعر طلبته فأخذه
عليهما ، فأما أحدهما فنجاله مهلهل الذي تشبه حياته حياته ، وهو الذي علمه
القريض فيما يقولون « وجعله يذهب في شعره وسيرته مذهبه ، ولكن شعر
امرى القيس ليس في سهولة شعر خاله ولا يبلغ في اللين درجة لينه ، وهذا ناشئ
من أنه لم يتأثر به في الشعر وحده ، وأما ثانيهما فأبو ذؤواد الأيادي ، وقد
ذكر ابن رشيق أن امرأ القيس كان يتكى عليه ويروي شعره حتى عده بعضهم
رواية له ، وكان أبو ذؤواد وصافا للخيل وأكثر شعره في أوصافها ، وكثير
من شعر امرؤ القيس فيها متأثر بما جاء فيها من شعره ، وقد يكون امرؤ
القيس تأثر بغيرهما ممن أدركه من شعراء عصره ، ولكن هذين الشاعرين
هما اللذان أدباه وعلماه ، وظهر في شعره أثرهما أكثر من غيرهما ، وكان
يعاصره من الشعراء عبيد بن الأبرص شاعر بني أسد ، وكان من ندماء
ملكهم حجر والدامري القيس ، وكذلك التوأم اليشكري وعلقمة الفحل
وعمر بن قميئة وغيرهم من شعراء عصره ، وكان أكثرهم أثرا فيه بعد ذينك
الشاعرين عبيد بن الأبرص لتلك الصلة التي كانت تربطهما ، ولهذا يتوافق
شعرهما في معانٍ وأساليب كثيرة

فلما أدرك امرؤ القيس من الشعر بغيته انصرف به إلى اللهو ، ومعاقرة

الخمير ، ومغازلة النساء ، ومطاردة الصيد ، وما إلى ذلك من أساليب الحياة
اللاهية ، وآثر أن يبعد عن أبيه وملسكه ليلهو لهوا طليقا لا يعترضه أحد
فيه ، فاجتمع إليه أرباب اللهو من العرب وبعض صعاليكهم وذو بانهم
وشذاذهم ، وصاروا يغيرون على القبائل وينزلون المياه ويدبحون مما
يصيدون أو يسلبون ، ويشربون الخمر ويغازلون النساء ، ويطربون
بالشعر والغناء ، وكان بين هؤلاء الصعاليك شعراء يقولون الشعر معه
فينسب كثير منه له لاشتهاره من بينهم ، وذيوخ اسمه دونهم ، ولكن
نقد الشعر يعرفون كثيرا من شعرهم الذي ينسب له ، ويتفق مع سوقيتهم
دونه ، وإن كان لابد أنه تأثر بهم ، وذهب من نفسه كثير من آثار بيئته قبلهم
وقد ذكر ابن الكلبي أن أباه هو الذي أقصاه عنه ، وآلى ألا يقيم معه
أنفة من قول الشعر وكانت الملوك تأنف منه ، وذكر ابن رشيق أنه طرده
لخلاعته ولهوه واشتغاله بمغازلة النساء ومعاقرة الخمير عما يلزم للملك
ويليق به وهو ابن ملك ، ولم يطرده لقول الشعر لأن العظماء لم تكن
تأنف منه في ذلك العهد ، وكان سلمة ومعد يكرب عما أمرى القيس وخاله
مهمل يقولون الشعر ، ويقال إن أباه لم يطرده إلا حينما اجترأ عليه وشبب
بهر إحدى نسائه أو جواريه ، وبعيزة بنت أخيه شرحبيل ، وقيل لهما كانتا
امراتين من كلب شبب بهما بعد طرده أبيه له ونزوله بقومهما وقد ذكروا
أن أباه أراد قتله قبل طرده فدفعه إلى مولى له ليقتله ويأتيه بعينه فانطلق به
ثم خاف إن قتله أن تعاود أباه الشفقة عليه فيقتله به فاطلقه وأخذ جؤذرا فامتلخ
عينيه وأتى بهما أباه ، فحين رآهما ندم على ما كان منه ، فقال الغلام : أبيت
اللعن إنى لم أقتله ثم أتى به إليه فنهك عن الشعر فمكث زمنا لا يقوله وأبوه
راض عنه ، ثم عاد إليه وقال قصيدته (ألا عم صباحا أيها الطال البالي)

فغضب عليه وطرده ، وهذه حكاية تشبه أن تكون أسطورة خيالية لا قصة حقيقية .
والذي نرجحه في هذا الاضطراب أن امرأ القيس لم يكن منصرفا كل
الانصراف إلى اللهو قبل طرد أبيه له ، ولم يكن يخلو من عناية بما يليق بابن
ملك مثله ، بل كان يعنى بذلك ويذكره في هذه القصيدة التي طرد بعدها :

فلو أنما اسعى لأدنى معيشة كدفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنها اسعي لمجد مؤثر وقد يدرك المجد المؤثر أمثالي
وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آلى
ويظهر ان اياه كان يؤثر إخوته عليه لانهم كانوا اكبر منه ، فابتعد
امرؤ القيس عنهم ، وتسلى باللهو عن امرهم ، فلما قتل ابوه وبلغه قتله قال
(ضيعني صغيرا وحملي دمه كبيرا) وهذا صريح في ان بعده عنه كان بسبب
تضييعه له ، ولم يكن فيما يقال لخلاعه ، لأنه معها يكون هو الذي ضيع نفسه
(٢) بعد قتل ابيه : قضى امرؤ القيس شبابه ينتقل من روضه الي روضة ،
ويرحل من بلدة الى بلدة ، يطلب اسباب اللهو ، ويقضى اوقاته في اللعب ، حتى
انتهى امره الى دمون التي يقول فيها :

كأنى لم ألهو بدمون مرة ولم اشهد الغارات يوم ما بعنديل
فاته فيها خبر قتل ابيه ، وكان قد اوصى بمتاعه وسلاحه لمن لا يجزع
عاليه من بنيه ، فكلهم جزع وبكى إلا امرأ القيس (١) فانه اخبر بقتله وهو
مع نديم له يلعبه النرد فامسك نديمه عن اللعب ، فقال له امرؤ القيس اضرب
فضرب ، حتى إذا فرغ قال له ما كنت لافسد عليك دستك ، ثم آلى على
نفسه الا يام كل لحما ولا يشرب خمر ولا يدهن بطيب ولا يلهو باللهو ولا

(١) هذه هي الرواية المشهورة ويستفاد من رواية اخرى في كتاب
لم يطبع بغداده كان مع ابيه في حروبه مع بني اسد وقد يكون ذلك هو الاقرب

يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من الجنابة حتى يدرك ثأر أبيه ، وبات ليلته
 أرقاً يتوعد بشعره مرة قتلة أبيه ، ويشكر مرة طول ليله :
 تطاول الليل علينا دمون دمون إنا معشر يمانون
 وإنا لاهلها محبون

ثم أخذ يجمع جموعه للاخذ بثأر أبيه واسترداد ملكه ، فبلغ بني أسد
 ما يجمعه لهم ، فأرسلوا اليه وفدا من رجالاتهم فيهم عبيد بن الأبرص وقبيصة
 ابن نعيم ، فلما وصلوا اليه احتجب عنهم ثلاثا ، ثم خرج اليهم في قباء وعمامة
 سوداء ، وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترات ، فبدر اليه
 قبيصة قائلاً :

إنك في المحل والقدر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدثه أيامه ،
 وتنقل به أحواله ، بحيث لا تحتاج إلي تبصرة واعظ ، ولا تذكرة مجرب .
 ولك من سؤدد منصبك ، وشرف اعراقك ، وكرم أصلك ، محتمد يحتمل
 ما حمل عليه من إقالة العثرة ، ورجوع عن المفوة . وقد كان ما كان من
 الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا واليمن ، ولم تخصص بذلك كندة
 دوننا ، للشرف البارع الذي كان لحجر ، ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية
 بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ، ولقد يناله بمثله ، ولكن مضى به
 سبيل لا ترجع أخراه على أولاه ، ولا يلحق أقصاه أدناه . فأحمد الحالات
 في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث : إما أن اخترت
 من بني أسد أشرفها بيتا ، وأعلاها في بناء المكرمات صوتا ، فقد ناله اليك
 بنسبه يذهب مع شفرات حسامك بياقي قصرته ، أو فداء بما يروح على
 بني أسد من نعمها فهي الوف تجاوز الحسبة ، وإما أن توادعنا حتي تضع
 الحوامل ، فنسدل الازر ، ونعقد الحز فوق الرايات

فبكى امرؤ القيس ثم قال : لقد علمت العرب أن لا كفؤ للحجر في دم ، وإنى لن أعتاض به جملا أو ناقة ، فأكتسب بذلك سبة الابد ، وفنت العضد ، وأما النظرة فقد أوجبتها الاجنة في بطون أمهاتهم ، ولن أكون لعطيها سببا .

ثم صار يتنقل بين القبائل يستنجدهم على بنى أسد ، حتى نزل على أخواله (بكر وتغلب) فأمدوه بجيش منهم ، فسار به الى بنى أسد فهربوا منه ، فلما زال يتبعهم حتى لحقهم وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد حامون على الماء ، فهد اليهم فقاتلهم وقتلوه ، وكثرت القتلى والجرحى فيهم وفيه ، ثم حجز الليل بينهم فهربوا منه ، فأراد أن يتبعهم فأبى ذلك من معه من بكر وتغلب ، وقالوا لقد أصبت تأرك وانصرفوا عنه ، فضى حتى نزل على مرثد الخير بن ذى جسدن الحميري فأمده بخمسمائة رجل من حمير ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من العرب رجالا أيضاً ، فسار بهم الى بنى أسد فقاتلهم وظفر بهم ، ثم تابعت الحروب بينهم وبينهم .

فلما رأى ذلك المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة تحرك لقتاله وكان يكره ملوك كندة لمنافستهم له ، وأمدته كسرى أنوشروان بجيش من الاساورة ، فساروا في طلبه حتى فرقوا من معه من حمير وغيرها ، فعلم أن العرب لا تساعد على قتال الفرس والمناذرة ، ووجه نظره الى أعدائهم السياسيين من الروم والغساسنة ، فسار حتى نزل على السموءل بتيمة ، وطلب منه أن يكتب له الى الحارث بن أبي شمر الغساني ليوصله الى قيصر الروم بالقسطنطينية ، فكتب له السموءل الى الحارث فسار اليه بكتابه وترك عند السموءل بنيه وعذته وأدراعه ، فلما وصل الى الحارث أكرمه وأرسله الى قيصر الروم (يوستينيانس) وكان معه من أصحابه في تلك الرحلة عمرو بن قبيصة الشاعر

وجابر بن حني التغلبى ، وقد تركه عمرو في حدود بلاد العرب والروم وتهبب دخول تلك البلاد ، فسار امرؤ القيس حتى أتى قيصر بالقسطنطينية فأكرمه وأحسن ضيافته ، وقد اختلف مؤرخو العرب مع مؤرخي الروم فيما كان من قيصر اليه في الشأن الذي قصده من أجله ، فذكر مؤرخو العرب أن قيصر امده بجيش كشف فيه جماعة من أبناء امراء الروم ، ولسكن بنى اسد كانوا قد ارسلوا خلف امرئ القيس رجلا منهم يقال له الطماح ليحول بين قيصر وبينه ، فقال لقيصر بعد ان فصل امرؤ القيس بالجيش : ان امرأ القيس غوي عاهر وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يرسل ابنتك وتراسله وهو قاتل فيها في ذلك أشـمـاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك ، فلما سمع قيصر ذلك بعث الي امرئ القيس بحلة مسمومة منسوجة بالذهب ، فلبسها في يوم صائف شديد الحر فاسرع فيه السم وسقط جلده واعتل ، فصنع له جابر بن حني رحالة وهي مركب من مراكب النساء توضع على البعير ، وعنى به حتى أدركه الموت بانقرة من بلاد الروم فدفن هناك

وذكر مؤرخو الروم مثل نونوز وبركوب أن امرأ القيس (وهم يسمونه قيساً) أرسل الى قيصر قبل أن يذهب اليه وفدا يطلب منه المساعدة على المنذر والفرس ، ثم ذهب اليه بنفسه فأكرمه ورغبه ووعدده ، ثم قلده إمرة فلسطين فسار اليها فلم يكده يصل الى أنقرة حتى أصيب بعلة الجدرى ، وهي علة ذات قروح تصيب الجسم فمات بها ودفن بانقرة

وإذا اردنا ان نرجح بين الروايتين فرواية مؤرخي الروم ارجح من رواية مؤرخي العرب ، لان ذلك وقع ببلاد الروم فمؤرخوها ادري به من غيرهم ، ولم تكن العرب تعرف مرض الجدرى فلما أصيب به امرؤ القيس وقع منهم موقع الغرابة ، ونسبوه الى تلك الحلة ، واخترعوا (١) لموته تلك القصة .

(١) قد رأى ابو الفداء في تاريخه انها خرافة ج ١ ص ٧٥

وذلك شان كل غريب يحار عامة الناس في إدراك علته ، وقد روى ان قيصر لما بلغه موت امرىء القيس امر بان يصنع له تمثال وينصب على قبره ، ففعلوا وبقي تمثاله قائماً هناك الى ايام المامون العباسي ، وقد شاهده هذا الملك حينما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة ، وهذا ايضاً مما يرجع الرواية الرومية وان قيصر لم يتغير عليه الى موته ، ولكن هل رضى امرؤ القيس من طالب ملك ابيه في نجد بامرته على فلسطين او بعض من بها من قبائل العرب ؟ وهل رجع مسروراً بذلك ناسياً ثار ابيه وملكه وهو الذي رحل الى قيصر من اجله ؟ ذلك ما نشك فيه او نرجح عدم رضاه به ، وانه اذا كان لم يظهر لقيصر شيئاً من عدم الرضا فقد رجع من عنده وهو يحمل من الم الحنية ما قضى عليه في طريقه . وقد حاول بعض أدباء عصرنا أن يثير شكاً في قصة رحلة امرىء القيس إلى قيصر بالقسطنطينية ، وزعم أن ذلك لو كان صحيحاً لجا في شعره شيء عن هذه المدينة العظيمة التي تأخذ بنفس من يراها ، ولجا في شعره شيء أيضاً عما شاهده في رحلته إلى تلك البلاد ، ولا يخفى أن هذا كلام لا يصح أن يقال بعد أن جاء خبر رحلته في كتب مؤرخي الروم السابقين ، ويؤيدهم في ذلك مؤرخوهم في عصرنا ، وقد قال نيكلسون في كتابه تاريخ آداب العرب : كان حजर أبو امرىء القيس ملكاً على بني أسد فتوجه امرؤ القيس إلى القسطنطينية واكرم الامبراطور يوستينيانوس وفادته لانه كان يود أن يعيد مملكة كندة لتكون شوكة في جنب الفرس وجعله أميراً على فلسطين فتوفي في أنقرة وهو ذاهب إليها ، ثم إن امرأ القيس لم يذهب إلى القسطنطينية ليقول فيها الشعر ، ولم يكن مرتاح الخاطر حتي تأخذ به عظمتها ، وتنتطقه بالشعر في ذكرها ووصفها ، ولم يخل شعره مع هذا من شيء يتعلق برحلته إلى قيصر ، ووصف بعض مشاهده فيها ، وفي القسطنطينية أيضاً علي

قصر مدة إقامته بها ، ومن ذلك قوله :

تذكرت هندا وأتراها فأصبحت أزمعت منها صدودا

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريدا

ويمكننا أن نستخلص من حال امرئ القيس بعد وفاة أبيه أن حياته بعد ذلك لم تكن خيرا من حياته الاولى ، وأنه سفك في ثأر أبيه دماء كثيرة ونسى أن قتله كان بسبب طلبه وتجبره ، ثم طلب ملكه من طريق سفك الدماء ، وكان يجب عليه حينما قصده وفد بني أسد للصلح أن يطلبه منهم بالسلم ، ويميلهم اليه بالعفو الذي لم يطلبوه منه ، فلا يكون في ذلك عار عليه ، ولكنه قضى شبابه في سفك الدماء للتخلص فليسفك الدماء بعده في طلب الملك ، ويطلبه من ذلك الطريق ليسير فيه إذا ظفر به سيرة أبيه ، ويظلم رعيته كما ظلمها ، ومع هذا فشعره في هذا الطور من حياته خير منه في طوره الاول ، لانه صحا فيه قليلا من غفاته بعد أن تفرق عنه أعوانه ، وخذله أنصاره ، وأخذ الدهر يقلب له ظهر المجن ، ويقف به من الناس موقف الضعيف المستنجد

وقد ذكر أكثر المؤرخين أن امرأ القيس عاش في القرن السادس الميلادي ، وقد يكون أقدم من ذلك حتى إن بعضهم يرجح انه عاش قبل القرن الخامس ، وإذا كان أبوه قد قتل سنة ٥٢٩ م فيكون الأرجح أنه ولد سنة ٥٠٠ م كما يذكره رينان الفرنسي ، وقيل إنه ولد سنة ٥٢٠ م وتوفي سنة ٥٦٥ م ، وقيل إنه توفي سنة ٥٤٠ م ، ولا يمكن الباحث أن يصل إلى يقين في ذلك ، لأنهم لم يكونوا يعنون بزمان ميلادهم ووفاتهم كما نغنى به في أيامنا .

عقيدة امرىء القيس

للدين أثر في حياة صاحبه وأدبه من شعر ونثر ، فلا بد من البحث عن دين امرىء القيس بعد درس حياته ، وقبل الكلام على شعره ، ولا بد أن نضع نصب أعيننا من أول الامر ما فعله جده الحارث بن عمرو من أخذه بالمزدكية ليوليه قباز على الحيرة ، بعد أن أبى المنذر بن ماء السماء موافقته عليها ، فذلك يدل أقوى دلالة على أن هذه الأسرة السكندرية كانت تتاجر في عقيدتها ، ولا تعرف عقيدة تستقر عليها ، فالعقيدة الدينية عندها وسيلة لا غاية ، ولعلها في قرارة نفسها ما كانت تقر بعقيدة من العقائد ، وقد تركت المزدكية بعد أن مات قباز وعزل أنوشروان الحارث بن عمرو عن الحيرة ، وما يدل على هذا ما كان بين أبناء الحارث من تحارب وتقاتل حينما أوقع المنذر بينهم ، ومن أصول المزدكية تحريم القتل والحرب . قال الشهرستاني في الملل والنحل (كان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والاموال أحل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركة فيها)

ومن هذا يمكننا أن نحكم بان امرأ القيس نشأ في بيئة لا تعنى بدين ولا عقيدة ، ولا يدين افرادها إلا بمصلحتهم الدنيوية وملذاتهم في الحياة ، وأي عقيدة تكون فيها مصلحتهم فهم يتظاهرون باعتناقها ليتوصلوا بها إلى تلك المصلحة ، فلا تعنيهم وثنية العرب ولا اصنامها ، ولا مزدكية الفرس ولا مجوسيتها ، ولا نصرانية الروم ، ولا يهودية بني إسرائيل وقد كانت منتشرة في دولة حمير التي كانت دولتهم فرعا منها ، فتأثر امرؤ القيس بهذه البيئة ، ونشأ فيها بلا عقيدة ، وقضى شبابه لا يعبد فيه إلا شهوته ، ويستبيح فيها

ما يستبيح من عرض ونفس ومال . ويرى بعض (١) العلماء انه كان في ذلك مزدكى العقيدة ، وانه كان يأخذ بالمزدكية كما كان يأخذ بها آباؤه ، ولا يخفى ان المزدكية إذا كانت تبيح العرض والمال لا تبيح قتل النفس ، وكان امرؤ القيس يستبيح ذلك في شبابه ، فلما قتل أبوه لم يرضه قتل واحد به من بنى اسد كما عرضوا ذلك عليه ، بل اراد أن يستأصلهم كلهم به ، وقد ذكروا ان امرأ القيس حينما خرج لحرب بنى اسد مر بقبالة وفيها ذو الخلصة ، وهو صنم الخثعم كانت العرب تعظمه ، وتستقسم بالآزالام عنده ، فاستقسم عنده بقداحه الثلاثة (الأمر والنهي والمتربص) فاجالها ثلاث مرات لا يخرج له فيها الا النهي ، فجمعها وحطمها وضرب بها في وجه الصنم وقال له : عضضت بإير ابيك او كان أبوك قتل ما عوقني ، ولا شك ان هذا يدل اقوى دلالة على انه لم يكن يعنى بعقيدة في حياته ، وانه لم يكن يعرف الا هواه ومصالحته ، فاذا لم توافق عقيدة هواه ضرب بها عرض الحائط ، ولا فرق عنده في ذلك بين وثنية العرب وغيرها من الديانات التي كانت شائعة في عهده . واما اسمه (امرؤ القيس) فلا يدل على عقيدة له في هذا الصنم (القيس) او غيره من اصنام العرب ، فقد يكون سمي به من أجل شخص محبوب سمي به ، لا من أجل عبادتهم له او اعتقادهم به ، وكم من ملحد الآن اسمه محمد او علي او غيرهما من الاسماء الاسلامية فلا تدل اسمائهم على عقيدتهم ، فكذلك لا يمكن ان يكون لاسم امرئ القيس من القيمة في الدلالة على عقيدته مثل حاله في حياته وحال أسرته

وقد عد بعضهم (٢) امرأ القيس في شعراء النصرانية ، وذكر ان آباءه أخذوها من الحيرة حينما ملكوا عليها ، مع انهم لم يصلوا إلى ذلك الا بأخذهم

(١) القس انستاس الكرملي (٢) القس لويس شيخو

بالمزدكية ، وموافقتهم قباز ملك الفرس عليها ، فلم يكونوا في عهدهم بالحيرة يعرفون غيرها ، وقد كان لامرئ القيس عمه نصرانية هي هند بنت الحارث زوج المنذر بن ماء السماء وام ابنه عمرو وصاحبة دير هند ، ولكن ذلك لا يدل على نصرانيته او نصرانية امرته ، لانهم كانوا بالبادية بعيدين عن بيئتها وهي لم تنصر الا بالحيرة ، وقد كان زوجها المنذر وثنيا وهو اقرب الناس اليها ، على انه قيل (١) انها كانت من غسان ولم تكن من كندة ، وهذا هو الاشبها بها ، وكانت هذه الاسماء (هند والحارث وعمرو) تكثيرين الغساسنة ايضا ، ولكني لا أستبعد أن يكون امرؤ القيس قد فعل مع قيصر الروم حينما خذله العرب وأراد أن يستنصر به ما فعله جده الحارث مع قباز ملك الفرس حينما وافقه على المزدكية لئيلكه على الحيرة ، فتظاهر بالنصرانية وهو لا يريد أن يتخذها عقيدة يدين بها ، وإنما يريد أن يتخذها وسيلة إلى مأربه ، وبهذا يعمل ما فعله قيصر به بعد موته من اكرامه وإقامة تمثال له على قبره وقد يرد في شعر امرئ القيس اسم الله ، ولكن غير مقرون بما يفيد تمكن الاعتقاد به من نفسه كما يقول في شعره :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فقال سباك الله إنك فاضحى ألسنت ترى السمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
حلفت لها بالله حلفه فاجر لناموا فما إن من حديث ولاصال

وينسب إلى امرئ القيس هذا البيت :

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل
ولكن هذا لا يشبه شعره ، ولعله من شعر غيره ، وكذلك ما ينسب إليه

من الشعر الذي ينحو هذا النحو ، فهو أشبه شيء بشعر حنفاء ذلك العصر ، ولا يشبه شيئاً من شعر خلعائه مثل امرئ القيس ونحوه

لغة امرئ القيس وشعره

اللغة التي روى لنا بها شعر امرئ القيس عدنانية مثل لغة غيره من الشعراء العدنانيين ، فإذا كانت كندة قبيلة امرئ القيس على ما رجحنا من القبائل العدنانية فوافقة لغته لشعره ظاهرة ، وإذا كانت على ما يراه جمهور النسابين من القبائل القحطانية فإن أسرة امرئ القيس من كندة كانت قد انتقلت إلى نجد ، وحكمت على القبائل العدنانية من عهد حسان بن تبع في أوائل القرن الخامس الميلادي (٤٢٠ — ٤٢٥) فعاشت هذه الأسرة بين القبائل العدنانية القرن الخامس كله ، قبل أن يظهر شاعرها امرؤ القيس في أوائل القرن السادس ، وفي هذه المدة كانت الحبشة قد استولت على اليمن ، وأزالت منها دولة حمير ، فانقطعت صلة دولة كندة بها ، وأخذت تتجه نحو الشمال وتقوى صلاتها بالقبائل العدنانية ، وتنشئ لها فروعا ودويلات صغيرة في قبائلها ، ومن تلك الدويلات الكندية دولة حجر والد امرئ القيس في بني أسد . فكل هذا الزمن وكل هذه العوامل جعلت من أسرة امرئ القيس الكندية القحطانية في مذهب جمهور النسابين أسرة عدنانية في لغتها وأدبها ، وشعرها ونثرها ، ولذلك شواهد كثيرة في عصرنا الحاضر ، وقد كفى أقل من ذلك الزمن فيه لصبغ أسر كثيرة حكمت في أمة ليست منها بصيغتها ، فاصبحت مثل جميع أفرادها في لغتهم وعاداتهم وغير ذلك من أمرهم

ويضاف إلى هذا في امرئ القيس أن أمه فاطمة كانت من قبيلة تغلب العدنانية ، وللاّم تأثيرها في طبع ابنها على لغتها وعادات قومها ، وقد أخذ امرؤ القيس الشعر على شاعرين عدنانيين (خاله مهمل بن ربيعة ، وأبي دؤاد

الايادي) وكان شاعر أبيه عبيد بن الابرص الاسدي عدنانيا أيضا ، وكان له تأثير في شعره يقرب من تأثير هذين الشاعرين ، فاجتمع بهذا كله من العوامل فيه من جهة شخصه وأسرتة ما جعله وهو ذلك الشاعر القحطاني في مذهب جمهور النسابين صاحب ذلك الشعر العدناني

ولا شيء بعد هذا على رواة شعر امرئ القيس من علمائنا الاولين ، ولا يصح أن يطعن عليه من هذه الجهة ؛ وقد غفل بعض علماء العربية (١) من الانجليز عن تلك العوامل وتبعه في الغفلة عنها بعض أدباء عصرنا ، فحكم بأن الشعر الذي يروي لامرئ القيس مختلق عليه لانه كان من قحطان وهذا الشعر عدناني اللغة ، ونحن قد نعذر في هذا العالم الانجليزى ، لانه مهما بلغ من درس العربية لا يصل الى ما نصل اليه من خفاياها ، ولكننا لانعذر ذلك الاديب الذي اتخذ به وبنى ما بنى من الاوهام على مذهبه ، ولو صح درس الشعر بهذه الطريقة لتمكن بعض الادباء أن يحكم بعد ألف سنة بأن شعر احمد شوقي من شعراء عصرنا الحاضر مختلق عليه ؛ لانه غير عربي وشعره عربي اللغة ، ولا يكلف نفسه درس العوامل التي جعلته يقول الشعر العربي وهو من أصل غير عربي

نعم ان اللغة العدنانية كانت مختلفة اللهجات وشعر امرئ القيس لا يمثل لهجة قبيلته ، ومثله في ذلك غيره من الشعراء ، فهل وجد الشعر في العربية قبل اختلاف لهجاتها او لم يوجد فيها إلا بعد اختلافها ؟ وفي ذلك عندي مفتاح هذا الامر المغلق ، ولا شك أنه من غير المعقول أن تبقى العربية قبل اختلاف لهجاتها في عهد طويل بلا شعر ولا أدب ، حتى اذا كانت قبل الاسلام بنحو خمسين ومائة سنة حدث ذلك فيها فجأة ، وإذن يمكننا أن

محكم بأنه كان في العربية أدب وشعر قديم قبل اختلاف لهجاتها ، وكان اللاحق فيه يجرى على منوال السابق ، أو يحدد مثل تجديدنا اليوم في عصرنا الحاضر تجديدًا يتعلق بالشكل دون الجوهر ، فكان للادب من ذلك العهد البعيد لغة متفقة يجرى عليها الأدباء والشعراء من كل القبائل إلا في النادر ، ولا يؤثر فيها اختلاف لهجات قبائلهم ، وكان في تلك اللغة الأدبية وحدتهم واتفاقهم كامة من الأمم ، والوقوف باختلاف لهجاتهم عند الحد الذي لا يؤثر في اتفاقهم عليها ، وسهولة تفاهمهم بها ، ولولا ذلك لتبليت ألسنتهم بها ، وكان مناهلهم لغات كثيرة تستقل كل لغة منها عن اللغة الأخرى ، وإنه لتوجد نصوص من الشعر الذي روى لنا في الزمن الذي قيل فيه قليل الإسلام تدل على قدم الشعر في العربية ، ووجود شعراء فيها سبقوا هذا الزمن بقرون قليلة أو كثيرة ، حتى أصبحوا ولا تعرف إلا أسماءهم ، ولولا ورودها في هذا الشعر لنسوا كما نسي غيرهم ، ومن ذلك ابن خزام الذي ورد في قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لا ننا نبكي الديار كما بكى ابن خزام
ولا يعرف عن ابن خزام هذا إلا أنه كان رجلا من طيء ، وقد يكون من غيرها ، ولم يرو أحد شعرا عنه ، ولم يسمع باسمه في غير هذا البيت وقال زهير بن أبي سلمى :

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا
يشير إلى أن كثيرا من أقوال الشعراء في عصره مستعار من شعراء كانوا أقدم منهم

وقال عنتره العبسي :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

يعد بهذا نفسه محدثاً قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه، ولم يتركوا له شيئاً

واللغة الأدبية التي نقول بها قبل الإسلام لا تمتاز عن لغة التخاطب في ذلك العهد إلا باتفاقها وجريانها على أصل اللغة قبل اختلاف لهجاتها، وبأنها يقصد فيها إلى صناعة البلاغة بخلاف لغة التخاطب، وقد تكون لهجة من تلك اللهجات كاللهجة القرشية مثلاً أقرب إلى تلك اللغة من غيرها، ولهذا أسبابه المعروفة في اللهجة القرشية من اجتماع أئمة الأدب في مواسم الحج وسوق عكاظ وغير ذلك من مواطن قريش أصحاب تلك اللهجة، أما الأعراب فكانت تشترك لغة التخاطب على اختلاف لهجاتها مع تلك اللغة فيه، ولا يشذ عنها فيه إلا لهجات نادرة، وكثير من أدباء عصرنا الحاضر يقول بأن ذلك العهد كان مثل عهدنا فيه لغة أدبية معربة، ولغة تخاطب غير معربة، ولا يوجد من الأدلة ما يساعد على مذهبه

جمع شعر امرئ القيس

كان الشعر العربي قبل العصر العباسي وبعض العصر الأموي بعضه محفوظاً في الصدور، وبعضه مكتوباً في السطور، وكتابة الشعر قديمة ترجع إلى عهد المناذرة، فلما جاء علماء هذا العصر عنوا بتدوين ذلك الشعر، وجمع شعر كل شاعر في ديوان خاص به، وقد عني بجمع شعر امرئ القيس من ثقة الرواة أبو عمرو بن العلاء والأصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب، ثم جاء بعدهم أبو سعيد السكري فجمع رواياتهم كلها وجودها، وجاء بعد أبي سعيد أبو العباس الأحول فجمعه أيضاً ولكنه لم يتمه، وكذا ابن السكيت فجمعه وأتمه، وقد عني بروايته وجمعه أيضاً من الثقة أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني والمفضل الضبي، وأوثق رواياته رواية أبي حاتم السجستاني عن

الاصمعي ، وهذا ما قاله أئمة الجرح والتعديل في بعض هؤلاء الرواة
 (١) أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة ، وكان أعلم
 الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر ، وكانت جميع أخباره عن أعراب
 أدركوا الجاهلية ، وقد كتب عنهم كتباً لا تبتلى إلى قريب السقف ثم تنسك
 فأتلفها كلها ، فلما رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه ، وهذا
 يدل على عنايته بأمر ما يرويه ، وأنه في ذلك اتف هذا القدر البالغ من الكتب
 لعدم ارتياحه إليه ، ثم اقتصر على ما ارتاح إليه منه ، وقد روى يونس بن
 حبيب أنه سمعه يقول : ما زدت في شعر العرب قط إلا بيتاً واحداً وهو :
 وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما
 وهو من أبيات اللاعثنى مشهورة ، ويكفي في أمر أبي العلاء أنه من القراء
 السبعة ، ومن لا يهتم في رواية القرآن لا يهتم في رواية الشعر ، وتوفي أبو عمرو
 سنة أربع وخمسين ومائة

(٢) الاصمعي : هو عبد الملك بن قريب امام ثقة أيضاً في الاخبار
 واللغة والنحو ، قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول : ما عبر أحد
 عن العرب بأحسن من عبارة الاصمعي ، وقال أبو أحمد العسكري : لقد
 حرص المأمون على الاصمعي وهو بالبصرة أن يصير إليه فلم يفعل واحتج
 بضعفه وكبره ، فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل ويسيرها إليه
 ليحيط عنها ، وكان شديد الاحتراز في تفسير الكتاب والسنة ، فاذا سئل
 عن شيء منهما يقول العرب تقول مني هذا كذا ولا أعلم المراد منه في الكتاب
 والسنة أي شيء هو ؟ وكانت وفاته سنة ٢١٦ هـ

(٣) أبو عبيدة : هو معمر بن المثنى ، وقد قال الجاحظ فيه : لم يكن
 في الارض خارج ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه ، وكان يغلب عليه العلم

باشعار الغريب وأخبار العرب وأيامها ، وهو والاصمعي وأبو زيد الانصاري أئمة عصرهم في ذلك ، وكان أبو عبيدة أكمل الثلاثة ، وأبو زيد أعلمهم بالنحو ، وكان علي بن المديني يحسن ذكر أبي عبيدة ويصحح روايته ، ويقول إنه لم يكن يحكى عن العرب إلا الشيء الصحيح ، وكانت وفاته سنة ٢٠٩ هـ .

(٤) أبو حاتم السجستاني : هو سهل بن محمد ، وكان كثير الرواية عالما باللغة والشعر ، حسن المعرفة بالعروض ، كثير التأليف للكتب في اللغة ، صادق الرواية يتبحر في الكتب ويخرج المعنى ، وهو حاذق بذلك دقيق النظر فيه . وكانت وفاته سنة ٢٥٥ هـ .

وأكثر الكتب التي عنيت بجمع أشعار امرئ القيس أو شرحها تعتمد على رواية هؤلاء العلماء ، وخصوصا رواية أبي حاتم عن الاصمعي ، وهذه هي الكتب التي عثرنا عليها في ذلك وما تعتمد عليه من رواية هؤلاء العلماء ؛
١ : شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي النحوي المتوفى سنة ٤٩١ هـ وقد طبع مرة بعد مرة ، وتناقلته أيدي الناس ، ولم تذكر فيه الرواية التي اعتمد عليها في جمعه شعره ، ولكن الظاهر أنها رواية أبي حاتم عن الاصمعي ، إلا في قصيدتين لم يذكرهما بعض من اعتمد عليها فيما يأتي ، وهذه .
مطالع قصائده ومقطعاته :

- | | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| (١) أحرار بن عمرو كائن خمر | (٧) ألا إن قوما كنت أمس دونهم |
| (٢) قفانبك من ذكرى حبيب ومزل | (٨) غشيت ديار الحى بالبكرات |
| (٣) ألا عم صباحا أيها الظل الباني | (٩) لمن ظلل أبصرته فشجاني |
| (٤) خليلى مرأى على أم جندب | (١٠) قفانبك من ذكرى حبيب |
| (٥) سمالك شوق بعدما كان أقصرا | وعرفان |
| (٦) أعنى على برق أراه وميض | (١١) دع عنك نهباً صيح في حجراته |

- (١٢) أرانا موضعين لحتم غيب
 (١٣) لعمر ك ما بقلبي إلى أهله بحر
 (١٤) ألما على الربع القديم بعسعا
 (١٥) ديمة هطلاء فيها وطف
 (١٦) أماوى هللى عندكم من معرس
 (١٧) يادار ماوية بالحائل
 (١٨) رب رام من بنى ثعل
 (١٩) أيا هند لا تنكحى بوهة
 (٢٠) ألا قبح الله البراجم كلها
 (٢١) والله لا يذهب شيخي باطلا
 (٢٢) إن بنى عوف ابتنوا حسبا
 (٢٣) ألا يالهف هند إثر قوم
 (٢٤) لمن الديار غشيتها بسحام
 (٢٥) ألا إلا تكن ابل فمعزى
 (٢٦) أحار ترى بربقا وهب هنا
 (٢٧) كائي اذنزلت على المعلى
 (٢٨) لنعم الفتى تعشوا الى ضوء ناره
 (٢٩) أبعد الحارث الملك بن عمرو
 (٣٠) انى حلفت يميناً غير كاذبة

ب : دواوين الشعراء الستة الجاهليين (امرؤ القيس وعلقمة وزهير

والنابغة وطرفة وعنترة) وتوجد منه نسخة بالمكتبة الملكية المصرية مخطوطة بقلم مغربي ، ويوجد على شعرها شروح وتقييدات ، وقد ابتدأ جامعها من شعر امرئ القيس برواية أبي حاتم عن الاصمعي ، فذكر ثمانين وعشرين قصيدة من شعره ، وهى القصائد التى شرحها الوزير أبو بكر ماعدا الاولى والاخيرة منها ، ثم ذكر فى آخرها هذه الكلمات : قال أبو حاتم هذا آخر ماصحح الاصمعي من شعر امرئ القيس والناس يحملون عليه شعرا كثيرا وليس له انما هو اصعاليك كانوا معه ، قال يوسف ابن سليمان (لعله جامع هذه الدواوين) ونذكر قصائد متخيرات مما لم يروا أبو حاتم ، فمن ذلك مارواه أبو عمرو والمفضل وغيرهما ، وكان الاصمعي يزعم أن هذه القصيدة لرجل من النمر يقال له ربيعة بن جشم :

- (١) أحار بن عمرو كائي خمر
 (٢) ألا انعم عبا حايا بها الربع وانطق

(٣) أمن ذكر سلى إذ نأتك تنوص (٥) حى الحول بجانب العزل
 (٤) تطاول ليلك بالأمم
 (٦) جزعت ولم أجزع من البين مجزعا
 وقد جاء فيه أن قصيدة (أعنى على برق أراه وميض) يقال إنها لابي
 دواد الياضى، وهى من رواية أبى حاتم عن الاصمعي، فهناك ثلاث قصائد
 مما ذكره الوزير أبو بكر من رواية أبى حاتم عن الاصمعي مختلف فيها،
 ويضاف إليها قطعة (ألا إلا تكن إبل فعزى) فقد حكى الوزير أبو بكر
 فى شرحه أن الاصمعي قال إن امرأ القيس لا يقول هذا وأحسبه للحطيفة،
 وقيل إن قصيدة (خلى مرابى على أم جندب) ليست لامرئ القيس أيضا
 ج: العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين (النابعة وعنترة
 وطرفة وزهير وعلقمة وامرؤ القيس) وهو مطبوع بالمطبعة الكلية بمدينة
 غريفر ولد سنة ١٢٨٦هـ الموافقة سنة ١٨٦٩م، وقد عني بتصحيحه وتهذيبه
 وترتيبه مسيو وليم بن ألورد البروسى، ويظهر أن هذا الكتاب هو الكتاب
 السابق بعينه، ولم يزد العالم البروسى فيه إلا أن رتب قصائده على الحروف
 الابجدية، ثم جمع فيها بين روايات الاصمعي وأبى عمرو بن العلاء والمفضل
 وأبى سعيد السكرى وزاد كثيرا فى تلك الروايات، ولم يميز بعضها عن بعض
 كما فعل ذلك الاصل، ولولاه لفاتت هذه الفائدة التاريخية الجليلة، ثم أضاف
 اليه ذيلًا يشتمل على المنحول لاولئك الشعراء من غير تلك الروايات،
 وفهرسا يشتمل على ما وجدته فى النسخ البارسية والقوطية واللندنية من ذكر
 السبب الذى قيلت لاجله قصائد الشعراء الستة. وهذه هى القصائد والمقطعات
 التى زادها فى تلك الروايات:

- (١) سالت بن نطاع فى راد الضحى (٣) ألا أبلغ بنى حجر بن عمرو
 (٢) سقى واردات والقلب ولعلما (٤) خليلى ما فى الدار مصحى لشارب

- (٥) الخير ما طلعت شمس وما غربت (١٩) لا تسلمني ياربيع لهذه
 (٦) يابؤس للقلب بعد اليوم ما آبه (٢٠) واثعلا وأين منى ثعل
 (٧) أذود القوائى عنى ذبادا (٢١) أحللت رحلى فى بنى ثعل
 (٨) لله زبدان أمسى قرقر جلدًا (٢٢) أرقت لبرق بليلى أهل
 (٩) أرى إيلي والحمد لله أصبحت (٢٣) تنكرت ليلي عن الوصل
 (١٠) أبلغ بنى زيد إذا مالقيستهم (٢٤) ماهاج هذا الشوق غير منازل
 (١١) أرى ناقة القيس قد أصبحت (٢٥) وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا
 (١٢) منعت الليث من أكل ابن حجر (٢٦) أبلغ شهابا بل فأبلغ عاصما
 (١٣) عفا شطب من أهله فغرور (٢٧) لم تسبنا خيلكم فيما مضى
 (١٤) رب طعنة منعت جرة (٢٨) عينك دمعها سجال
 (١٥) لمن طلل دائر آيه (٢٩) أتانى وأصحابي على رأس صيلم
 (١٦) إذا ما كنت مفتخرا ففاخر (٣٠) أنى على استتب لو مكما
 (١٧) لعمري لقد بانت بحاجة ذى الهوى (٣١) تطاول الليل علينا دمون
 (١٨) ثوي عند الودية جوف بصرى (٣٢) ألا ياعين بكى لى شنيئا
 (٣٣) بدلت من وائل وكندة عد وان صمى ابنة الجبل

وهذه هي القصائد والمقطعات المنحولة له من غير تلك الروايات ، وقد

ذكر معها أيضا بعض أبيات تنحل له فى القصائد السابقة :

- (١) قالت الخنساء لما جئتها (٤) طرقتك هذب بعد طول تجنب
 (٢) أجاتنا إن الخطوب تنوب (٥) ألم يخبرك أن الدهر غول
 (٣) أذكرت نفسك ما لن يعودا (٦) الحرب أول ما تكون فتية
 (٧) لمن طلل بين الجدبة والجبل محل قديم العهد طالت به الطول
 (٨) لمن طلل بين الجدبة والجبل مكان عظيم الشأن طالت به الطيل

د : شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين : (أمرو القيس والنابعة

وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة) وتوجد نسخة منه بالمكتبة الملكية المصرية ليس فيها اسم مؤلفه، وإنما فيها أنه ألفه وأهداه لسيف الدولة أبي الوليد إسماعيل بن المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبي عمر عباد بن محمد بن عباد، وهي مخطوطة بقلم مغربي بخط أحمد بن عبد بن المختار، وقد انتهى منها في الثالث من جمادى الآخرة ١٢٨٢ هـ، وقد اعتمد مؤلفه فيما اختاره على رواية الاصمعي لما ذكر من تواطؤ الناس عليها، واتفاق أهل العصر على تفضيلها، ثم أنبعها بقصائد متخيرة من رواية غيره، ولكنه لم يذكّر من القصائد التي رواها الاصمعي إلا بعضها، ولم يستوعبها كلها، لأنه كان يقصد في تأليفه إلى الاختيار دون الاستيعاب

هـ : نزهة ذوى الكيس وتحفة الادباء في قصائد امرئ القيس أشعر الشعراء

وتوجد منه نسخة بالمكتبة الملكية المصرية مطبوعة بدار الطباعة السلطانية في باريس سنة ١٨٣٦ م، ومعها مقدمة وترجمتها وبعض ملاحظات عليها باللغة الفرنسية لدى سنان، وهو يعتمد على أبي الحجاج يوسف بن سليمان فيما جمعه من شعر امرئ القيس في دواوين الشعراء الستة الجاهليين، ولكنه أسقط المعلقة من رواية أبي حاتم، وذكر كل ما عداها بما ذكره في روايته وروايات غيره

و : ديوان امرئ القيس : وهو رواية أبي سهل خربنداد بن ماخرشيد عن أبي الحسن علي بن عبد الله بن سنان الطوسي، وأبي نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني، وعليه شرح لقصائده من رواية أبي سهل أيضاً عن الطوسي وأبي نصر، وترجد منه نسخة بالمكتبة الملكية مخطوطة بخط عثمانى بقلم إسماعيل عبد الحكيم بن محمد الاستانبولي، وقد نقلها للشيخ

محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي عن نسخة كتبت سنة ٤٠٩ هـ ، وقد جاء في أولها (قال أبو الحسن الطوسي قال الاصمعي ...) ولم يرد ذكر أبي نصر إلا في شرح بيت أو نحو ذلك ، وجاء أيضاً في أواخرها (تمت نسخة أبي الحسن من القديم الصحيح والمنحول وما كتبناه عن غير من منحول شعره وهو المنحول الثاني ...) ويظهر من هذا كله أن أبا سهل خربنداذ قد روى ما جاء في هذا الديوان عن الطوسي وحده ، وأن الطوسي رواه عن أبي نصر من رواية الاصمعي وعن ابن الأعرابي وأبي عبيدة والشيباني ، فقد ذكرهم جميعاً في شرحه ، وقد كان أبو نصر ممن روى عن الاصمعي ، وأما الطوسي فكان أكثر مجالسته وأخذ عن ابن الأعرابي ، وربما يريب في صحة هذا الديوان أن ابن النديم ذكر في الفهرست أن الطوسي لا مصنف له ، وأنه لم يذكره ولم يذكر أبا نصر فيمن عني بجمع شعر امرئ القيس ، وقد جاء في هذا الديوان كل القصائد والمقطعات التي رواها أبو حاتم عن الاصمعي ما عدا القصائد والمقطعات صاحبة هذه الأرقام (٧ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٣٠) وقد جاء فيه مقطعة (إلى حلفت يمينا غير كاذبة) ولكن فيما ذكره مما كتبه عن غير أبي الحسن من منحول شعر امرئ القيس ، وجاء فيه أيضاً ما زاده العقد الثمين عن أصله في غير رواية أبي حاتم القصائد والمقطعات (٣ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢) وهذا إلى القصائد الموجودة في أصل العقد الثمين ولم تعد فيما زاده عنه ، ولم يجيء فيه غير هذه القصائد والمقطعات مما ذكر فيهما إلا بعضاً ذكر في المنحولات التي ذكرت في آخره ، وقد زاد عاينهما في تلك الرواية هذه القصائد والمقطعات :

- | | |
|-------------------------------|----------------------------|
| (١) ولقد بعثت العنس ثم زجرتها | (٣) صرمتك بعد تواصل وعد |
| (٢) قد أناني عن مريء مأك | (٤) لمن الديار عفون بالحبس |

وهذه هي القصائد المنجولة التي ذكرت في آخره :

- (١) اذ كرت نفسك ما لن يعودا
(٢) ألاحي ابنة الغنوى ميا .
(٣) منعت الليث من أكل ابن حجر .
(٤) عجبت لبرق بليل أهل .
(٥) طال الزمان وملأ أهلي .
(٦) صحا اليوم قلبي عن لميس وأقصرا
(٧) بنى جميلة لاني منهم غادي
(٨) إن الخليط نأوك بالامس
(٩) المائزع عن أم عمرو وتأس
(١٠) لمن الدار تعفت مذحقب
(١١) ألم تر يا وريب الدهر رهن
(١٢) بان الملوك فامسى القلب مرتابا
(١٣) لاني حلفت يمينا غير كاذبة
- (١٤) يا صاحبي إذا ما خفت ما غرضي
(١٥) أشاقتك من آل ليلى الطلل
(١٦) هل عادة قلبك من ماوية الطرب
(١٧) تقول لي ابنة الكندي لما
(١٨) اهاجك الربع القواء المقفر
(١٩) انا القرم للقرم بين القروم
(٢٠) إن يك شيبي قد علاني وفاتني
(٢١) ديار به الظلمان والعين تعكف
(٢٢) سقا دار هند حيث شطت
بها النوى
(٢٣) أرقت فقلت في ارق العداد
(٢٤) ضنت عليك لميس بالقرض

(٢٥) اني امرؤ من خير كندة لست من أشرارها

وقد ذكر أن الخمسة الاخيرة يقال ان أولاهما لرجل من كندة ، والثانية لشامة البجلي ، والثالثة لعبد الله السلي ، والرابعة لابي دواد الايادي والخامسة لعمر بن شاس ، وقد حكى أيضا عن أبي عمرو الشيباني أن من الكوفيين من يقول ان قصيدة (أماوى هل لي عندكم من معرس) لبشر بن خازم

ز : ديوان امرئ القيس : رواية أبي سهل ماخرشيد أيضا عن أبي جعفر الكوفي وأبي عمر الاصطخري ؛ قال قرأت على أبي جعفر أحمد بن الحسن

الكوفي المعروف بدندان بشيراز ، سم قرأته بنفسا على أبي عمر حفص بن عمر العبدى الاصطخرى ، قال أبو جعفر قرأته على أبي العيشمى وعلى عدة من أصحاب الأصمعى ، وقال أبو عمر قرأته على أبي عبيدة الحسن العبدى عن أبي محمد المفضل بن محمد الضبي ، وقرأته على أبي مسعود مسلمة بن عبد (يياض بالاصل) حكاه عن الأصمعى وأبي زيد ، وقد ذكر أبو سهل في هذه الرواية بعض ما تركه في الرواية السابقة عن الطوسى وأبي نصر من رواية أبي حاتم وغيره وهو هذه القصائد والمقطعات الآتية :

(١) الا إن قوما كنت أمس دونهم

(٢) يا هذ لا تنكحي بوهة

(٣) أتانى وأصحابى على رأس صيلع

وزاد هنا أيضا على روايته السابقة هذه القصائد والمقطعات وبعضها قد

عد في السابقة من المنحولات :

(١) أظعان دند تلکم المتحملة (٨) أبلغ سلامة أن الصبر مغلوب

(٢) أجار تنان المزارقريب (٩) ألما تزع عن أم عمرو وتياس

(٣) لقد دمعت عيناي في القرو القيظ (١٠) تقول لى ابنة السكندى لما

(٤) الاحى ابنة الجدلى هرا (١١) ضربنا عند مختلف العوالى

(٥) صحا اليوم قلبى عن لميس وأقصرا (١٢) قالت فطيمة حل شعرى مدحه

(٦) طال الزمان وملنى أهلى (١٣) رحلت ولم تقض اللبانة من جمل

(٧) أرى طول الحياة وإن تأيا

(١٤) إني امرؤ من خير كـ : دكـ لست من أشرارها

ج : ديوان امرىء القيس : ومعه شرحه مخطوط بقلم مغربى للشيخ محمد

محمود بن التلاميذ الشنقيطى ، وقد ذكر أنه جمعه من شعر امرىء القيس بمالم

يذكر في ديوان الشعراء الستة أصلاً ، وأنه لم يستوف فيها ، فذكره مستوفى من رواية أبي سهل خربنداذ أيضاً عن أبي جعفر أحمد بن الحسن الكوفي المعروف بدندان ، وعن سائر مشايخه غيره ، ومن رواية أبي الحسن علي بن عبد الله الطوسي ، ولكنه بعد أن ذكر في هذه النسخة أكثر من نصف قصائدها ووصل إلى المقصورة التي مطلعها :

إن يك شيبى قد علانى وفاتنى شيبانى وأضحى باطل القول قد صحا
قال (وبهذه المقصورة تم شعر امرئ القيس من رواية الطوسي مما لم يروه الاصمعي وما رواه وفيه زيادة لم يروها) ثم مضى في ذكر قصائد أخرى غير ما رواه أولاً ، فيمكن أن يؤخذ من هذا أن هذه الرواية لا يدخل في طريقها أبو جعفر الكوفي ، وإنما هي للطوسي وحده

وقد ورد في هذه الرواية مما تركه أبو سهل من رواية أبي حاتم وغيره في رواياته السابقة قصيدة (منعت الليث من أكل ابن حجر) وقد عدتها فيما سبق من المنحولات ، ولكنها وردت هنا فيما ذكره بعد تلك المقصورة ، وجاء فيه أيضاً من ذلك قصيدة (إذا ما كنت مفتخراً ففاخر) ثم زاد هنا هذه القصائد والمقطعات وبعضها قد عدته فيما سبق من المنحولات :

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| (١) عجبت لبرق بليل أهل | (٨) أنا القرم للقرم بين القروم |
| (٢) بنى جميلة إني منهم غادى | (٩) ديار بها الظلمان والعين تعكف |
| (٣) إن الخليط نأوك بالامس | (١٠) إن يك شيبى قد علانى وفاتنى |
| (٤) سقى دار هند حيث شطت بها النوى | (١١) أشاقك من آل ليلي الطلل |
| (٥) ضنت عليك لميس بالقرض | (١٢) أرقى فقلت في أرق العداد |
| (٦) لمن الدار تعفت مذ حقب | (١٣) ألم تريا وريب الدهر رهن |
| (٧) أهاجك الربع القواء المقفر | (١٤) بان الملوك وأمسى القلب مرتابا |

(١٥) يا صاحبي إذا ما خفتما غرضي (١٦) ألا حى ابنة الغوى ميا
وقد ذكر في بعض هذه القصائد انه يقال إنها منسوبة لغير امرئ القيس
من نسب بعضها اليهم فيما مر من رواياته او غيرهم

فاذا أردنا ان نحصر ما نسب الى امرئ القيس من القصائد في مختلف تلك
الروايات وجدناها تجاوز المائة ، ولا يدخل في هذا القصائد المنحولة ،
والذي ذكره المحققون أن امرأ القيس كان شاعرا مقلداً ، وأنه لا يصح له
من الشعر إلا عشرون بين قصيدة ومقطعة ، ولا شك أن الروايات التي نقل
عنها أبو سهل خربنداذ لا يوثق بالقصائد التي انفردت بها ، لاضطرابها وعدم
ضبطها ، وقلة شهرة رجالها ، ولم نعثر في كتاب ابن النديم إلا على اثنين منهم
(علي بن عبد الله الطوسي وأحمد بن حاتم) ولكنه لم يذكرهما فيمن عني
بجمع شعر امرئ القيس ، واما أبو جعفر الكوفي وأبو عمر الاصطخري
فلم نعثر عليهما فيه ، مع انهما أخذنا عن تلامذة الاصمعي وغيره من أهل
عصره ، وقد أخذ عنهما أبو سهل ، فالثلاثة أسبق وجودا من ابن النديم
فعدم ذكرهم في كتابه يوقعنا في ريب من أمرهم ، ولا يجعلنا نشك بما انفردوا
به من شعر امرئ القيس في رواياتهم

وهذا هو رأينا في هؤلاء الرواة المجهولين ، وإن كان الشيخ الشنقيطي قد
عنى برواياتهم المختلفة ، واهتم بجمعها في تلك الدواوين المخطوطة بالمكتبة
الملكية ؛ فجميعها كانت مملوكة له ، وهو الذي أمر بنقلها من المكاتب المختلفة
في البلاد التي تنقل اليها ، ولعل أكون قد أحسنت بهذه الإشارة الوافية إلى
ما فيها من القصائد والمقطعات التي تنسب الى امرئ القيس ، حتى يهتم لها من
يطبعها وينشرها بين الناس ، ويحفظها من الضياع الذي يوشك أن يلحقها إن
لم يهتم أحد بطبعها

شعر امرئ القيس في لهو حياته

قضى امرؤ القيس هذا العهد في عيش ناعم ، وحياة خالية من الهموم والغموم ، وبيئة حرة لا تتقيد بعرف ولادين ، يتقلب بين ربي نجد وأوديتها وتضحك له مرة غياضها ، وتعبس له تارة بواديتها ، فتتأثر بذلك الفاظه ومعانيه في شعره ، وتأتي مرة سهلة ضاحكة ، وحيناً خشنة مغلقة ، ولا يجاوز في ذلك من أغراض الشعر ما تقتضيه هذه الحياة الالهية

(١) التشبيب : وكان يتأثر فيه بحب مادی فاجر كان فيه إمام ابن أبي ربيعة والفرزدق وغيرهما ممن أتى بعده ، وسن فيه سنته ، فلم يخلص فيه لواحدة من صواحيبه ، وإنما أخلص للذته وشهوته ، فطلب فيهما كل واحدة اشتهاها ، حتي إذا قضى لذته منها انتقل إلى غيرها ونسيها ، فليس في تشبيهه لوعة العاشق المستهام ، ولا حرقة الصب المنيح ، ولا يعدو ذكر النساء ومحاسنهن ، وأحاديثه معهن ، والوقوف على ديارهن لذكر لهوه بهن

(٢) الفخر : وكان يتحدث فيه أمام صواحيبه عن شجاعته وقوته ، وركوبه الخيل في الصيد والغارات ، وقطعه المهامه بناقته لا يخاف بأسها ، ولا ترهيبه وحشتها ، وهو في ذلك بدوي صميم ، متعهم الالفاظ ، خشن الاساليب ، لا تلبس في شعره شيئاً من الرقة التي قد تلبسها في تشبيهه

(٣) الوصف : وكان يتعلق بالامور التي كان يعنى بها في شبابه ، فكان يصف بمجالس الانس والشراب ، ويصف الخيل والنوق وبقر الوحش والنعام والجر وغير ذلك من أنواع الحيوان التي كان يعنى بصيدها ، ويذكر في شعره طراده لها ، ويصف الرياض التي كان ينزل عليها ، وسحابها وبرقها ، أشجارها وطيورها ، وغير ذلك مما كان يصفه منها ، وهو في ذلك أيضاً

بدوي صميم ، يصف مظاهر البداوة في الفاظها البدوية ، ويذكر مشاهدتها على ما تواضع عليه أهلها

وهو يجمع بين هذه الأغراض في كل قصائده إلا النادر منها ، وقد يكون هذا النادر مثل غيره ولم يصل إلينا كله ، فهو لا يذكر التشبيب إلا لينتقل منه إلى الفخر بنفسه ، وذكر ما يتعلق بذلك في حربه أو صيده أو أسفاره ، ولا ينتهي من الفخر إلا لينتقل منه إلى وصف البرق أو السحاب أو المطر أو نحو ذلك من مشاهد بلاده ، وهو في ذلك يمثل نفسه وعدم وقوفها عند شيء واحد من عشق أو نحوه ، ويتقلب في شعره تقلبه في أمره ، وقد كان لا يقول هو وصعاليك الشعر إلا حينما ينزلون على الغياض ، ويرجعون من صيد أو غارة ، وياخذون في الشراب وسماع أصوات القيان وذكرى المحبوبات ، وتجتمع بنفوسهم عوامل شتى تدعوهم إلى الشعر ، فتهيجهم الذكري إلى التشبيب ، ويحركهم الظفر في الصيد أو نحوه إلى الفخر به ، وذكر حوادثهم فيه ، ويدعوهم جمال الغياض إلى وصف برقها وسحابها وطيرها وغير ذلك من أحوالها ، فإذا أردت أن تلمس وحدة لقصائده في اختلاف أغراضها في ذلك فهذا هو سبيلها ، وهذه هي الوحدة التي تجتمع هذه الأغراض فيها

وقد يكون امرؤ القيس يقصد التشبيب وحده من قصائده ، ولهذا يقدمه أمام غيره ويفتح به ، فإذا ذكر نفسه بعد ذلك واقتصر بها فليستتميل بهذا محبوبته ، ويرغبها في نفسه ، وإذا وصف البرق بعد ذلك أو نحوه فأنما يصف البرق الذي يطلع من ناحية دارها ، فيعود إليها ثانيا من هذه الناحية بعد أن يفرغ من التمدح بنفسه أمامها ، وينتهي من ذلك فيها بما بدأ به من أمرها وامرؤ القيس إذ يقدم تشبيهه في قصائده أمام غيره من أغراضه بخلاف

بذلك عن غيره من شبيب بالنساء في شعره ولم يشتغل بعشقهن مثله ، فهو يذكره على أنه مقصد من مقاصد قصائده ، ويقدمه عليها لأنه أهمها عنده إن لم يكن هو المقصود منها وحده ، وإنما يذكر الفخر ونحوه معه لاجله ، أما غيره من الشعراء فيذكره على أنه وسيلة لما يأتي بعده من مدح أو نحوه ، ولا شك أن هذا يقبل من امرئ القيس لأنه كان يعشق النساء ويلهو بهن ، ولكنه لا يقبل من غيره ممن لم يعن بعشق النساء مثله ، خصوصا إذا ذهب فيه إلى ذلك الحد الذي كان لا يحلو فيه الشعر إلا إذا ابتدئ بالتغزل ، فيتكلف فيه العشق من لم يكن عاشقا ، ويكذب في ادعاء الحب من لم يكن محبا .

وقد قضى امرؤ القيس في ذلك العهد أكثر حياته ، وقال فيه أجود شعره ، وأنشأ أطول طوالة ، لما كان فيه من فراغ البال ، وصفاء الخاطر ، والانصراف إلى اللهو والشعر . ومن أشهر ما قاله في ذلك العهد هذه القصائد :

- (١) قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل (٤) أماوى هل لى عندكم من معرس
(٢) ألا عم صباحا أيها الطلل البالي (٥) ألا انعم صباحا أيها الربع فانطق
(٣) ديمة هطلاه فيها وطف (٦) أمن ذكر سلمي إذ فأتاك تنوص

مختارات من شعره في لهوه

قال في التشبيب والفخر والوصف من قصيدته (قفانبك) وهي من القصائد المعلقة :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول ثم مل
فتوضع فالمرأة لم يعف رتمها لما نسجتها من جنوب وشمال
وقوفا بها صبحي على مطيهم (١) يقولون لا تهلك أسي وتحمل

(١) مفعول به لوقوفها

وإن شفتاني عبرة مهراقة
 كدأبك من أم الحويرث قبلها
 ألا رب يوم لك منهم صالح
 ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
 تقول وقد مال الغيظ بنا معاً
 فقلت لها سيري وارخي زمامه
 أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
 أغرك مني أن حبك قاتلي
 وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
 ويضة خدر لا يرام خباؤها
 تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً
 فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
 فقالت يمين الله مالك حيلة
 خرجت بها تمشي تجروراً منا
 فلما أجزنا ساحة الحى واتحجى
 هصرت بفردى رأسها قمايلت
 مهفهفة بيضاء غير مفاضلة
 تصد وتبدو عن أسيل وتثقي
 وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش
 وفرع يزين المتن أسود فاحم
 غداؤه مستشورات إلى العلا
 إلى مثلها يرنو الحليم صبابة
 فهل عند رسم دارس من معول
 وجارتها أم الرباب بمأسل
 ولا سيما يوم بدارة جلجل
 فقالت لك الوليات إنك مرجلي
 عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
 ولا تبعدينى من جنائك المعلن
 وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجمل
 وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
 بسهميك فى أعشار قلب مقتل
 تمتعت من لوبها غير معجل
 على حراساً لو يسرون مقتل
 لدى الستر إلا لبسة المتفضل
 وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
 علي أثرينا ذيل مرط مرحل
 بنا بطن خبت ذى حفاف عقنقل
 على هضم الكشح ربا المخلخل
 ترائبها مصقولة كالسجنجل
 بناظرة من وحش وجرة مطلق
 إذا هي نصسته ولا بمعطل
 أثيث كقنو النخلة المتشكل
 تضل المدارى فى مثنى ومرسل
 إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواها بمنسل

ألا رب خصم فيك ألوى (١) رددته
وليل كموج البحر أرخى سدوله
فقلت له لما تمطى بصلبه
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
فيالك من ليل كأن نجومه
وقد أغتدى والطير في وكناتها
مكر مفر مقبل مدبر معا
له أبطالا ظي وساقا نعامة
ضليع إذا استدبرته سد فرجه
فعن لنا سرب كأن نعاجه
فأدبرن كالجزع المفصل بينه
فألحقنا بالهاديات (٣) ودونه
فظل طهاة اللحم ما بين منضج
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه

نصبح على تعب ذاله غير مؤتل
على بأنواع الهموم ليتلى
وأردف أعجازاً وناء بكل كل
بصبح وما الاصبح منك بأمثل
بكل مغار القتل شدت ييدبل
بمنجرد (٢) قيد الاوابد هيكل
كجلود صخر حطه السيل من عل
وإرخاء سرحان وتقريب تنفل
بضاف فويق الارض ليس بأعزل
عذارى دوار في ملاء هذيل
بجيد معم في العشيرة مخول
جوا حرها في صرة لم تزيل
صفيف شواء أو قدير معجل
متى ما ترق العين فيه تسفل

أصاح ترى برقاً أريك وميضه
يضىء سناه أو مصاييح راهب
كلع اليدين في حبي (٤) مكلل
أهان السليط (٥) بالذبال المفتل

(١) شديد الخصومة (٢) قصير الشعر كأنه قيد للآوابد بسرعه

(٣) المتقدمات أمام السرب (٤) سحاب متراكم (٥) الزيت

على قطن بالشميم أيمن صوبه
فأضحى يسبح الماء حول كثيفة
كان ثيرا في عرائين (١) وبله
كان مكاكي (٢) الجواء غدية
كان السباع فيه غرقى عشية
وقال في ذلك أيضا:

ألا انعم صباحا أيها الريح فانطق
وحدث بأن زالت بليل همولهم
فأتبعتم طرفي وقد حال دونهم
على إثر حى عامدين لينة
فعزيت نفسي حين بانوا بجسرة (٥)
إذا زجرت الفيتها مشمعة (٦)
كان بها هرأجنيا تجره
وقد أغتدى قبل العطاس (٧) بهيكل
كأن غلامى إذ علا حال (٨) متنه
رأى أرنبا فانقض يهوى أمامه
فقلت له صوب ولا تجهده
فأدبرن كالجزع المفصل بينه
فأدركهن ثانيا من عنانه

(١) أوائله (٢) نوع من الطير (٣) هو البصل البرى وأنايشه جذوره
(٤) نوع من النبات لا تقربه دابة لحبته (٥) ناقة ماضية (٦) نشيطة
(٧) ظهور الصبح (٨) وسط (٩) حديد كثير الحركة (١٠) الأبيض

فصاد لنا عيراً وثوراً وخاضباً (١) عداً ولم ينضح بماء فيعرق
فقلنا ألا قد كان صيد لقانص فخبوا علينا ظل ثوب مروق
وظل صحابي يشتوون بنعمة يصفون غارا باللكيك (٢) الموشق
وقال أيضاً في ذلك يعارض عبيد بن الأبرص في بائته (عينك دمعاهما
سروب)

عينك دمعهما سجال	كأن شانيهما أو شال (٣)
أو جدول في ظلال نخل	للماء من تحته مجال
من ذكر ليلي وأين ليلي	وخير ما رمت ما ينال
قد أقطع الأرض وهي قفر	وصاحي بازل (٤) شملال
ناعمة نائم أبجلها (٥)	كأن (٦) حاركها آثال
كأنها عنز بطن واد	تعدو وقد أفرد الغزال
عدوا ترى بينه أبواعا	تحفزه أكرع (٧) عجال
وغائط قد هبطت وحدي	للقلب من خوفه اجثلال
صاب عليه ربيع صيف	كأن قريانه الرحال
تقد منى نهدة سبوح	صلبها العض والحبال
كأنها لقوة (٨) طلوب	كأن خرطومها منشال
تطعم فرخا لها صغيرا	أزرى به الجوع والاحثال
قلوب خزان ذى أورال	قوتا كما يرزق العيال

تعلوه الكدرة (١) ظلياً اغتم فاحمرت ساقاه (٢) اللكيك اللحم والموشق
المقدد (٣) الوشل الكثير من الماء أو الدمع وجمعه أو شال (٤) البازل من الأبل
الذي طلع نابه (٥) الأجل عرق غليظ في الرجل أو اليد (٦) الحارك أعلى
الكاهل (٧) واحده كراع وهو مادون الكعب (٨) عقاب سريعة

وغارة ذات قيروان كأن أسراها رعال
 كأنهم حرشف مبثوث بالجوود إذ تبرق النعال
 صبحتها الحى ذا صباح فكان أشقام الرجال

وقال في وصف المطر من شعر روى فيه دون غيره مما اعتاد ذكره معه
 من أغراضه :

ديمة هطلاء فيها وطف (١) طبق الارض تحرى (٢) وتدر
 تخرج الود (٣) إذا ما اشجذت وتواريه اذا ما تشكر (٤)
 وترى الضب خفيفا ما هرا ثانيا برثنه ما ينعفر
 وترى الشجر (٥) في ريقها كرؤوس قطعت فيها الخمر
 ساعة ثم اتجاها وابل ساقط الا كناف واه منهمر
 راح تمر به الصبا ثم اتحي فيه شؤبوب جنوب منفجر
 نجحتي ضائق عن آذيه عرض خيم فيخفاف فيسر
 قد غدا يحملني في أنفه لاحق الا يطل محبوبك (٦)

وربما يكون بعد هذا شعر لم يرو لنا مضى فيه على عادته في وصف فرسه
 ولم يقف عند هذا البيت المنفرد فيه

شعر امرئ القيس في جد حياته

تغير في هذا العهد حال امرئ القيس ، وأصبح لا يعنى إلا بثأر أبيه
 وطلب ملكه ، ولا يعنى بشيء مما كان يعنى به من لهوه ، وقد آلى على نفسه
 (١) هدب على التشبيه (٢) تقصد ما هو الاخرى بالاصابة (٣) الود
 (٤) تشدد (٥) الشجر للواحد والجمع وقيل انه جمع شجرة (٦) مقتول
 العضد قويه

ألا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمرًا ، ولا يدهن بطيب ، ولا يلهو بلهو ، ولا يصيب امرأة ، ولا يغسل رأسه من الجنابة حتى يدرك ثأر أبيه ، ففاسى في ذلك ما فاسى من الاهوال ، وأصبح يسأل القبائل مساعدته في أمره فيعرض عنه بعضها ، ويجيبه قليل منها ، ثم يقوم عليه المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة فتنفذ عنه جموعه ، ولا يجد من يحمي عنده أهله وماله ، وتبأس نفسه من العرب أبناء جنسه ، فيقصد السموءل اليهودي وقصر الرومي ، ويؤثر كل هذا في نفسه ويظهر أثر ذلك في شعره ، فيبدو فيه كئيبيًا حزينا بعد أن كان يبدو فيه فرحًا طروبًا ، ويتناول فيه من أغراضه أغراضا لم يكن يتناولها في شبابه ، ولكنه لا ينسى في ذلك كل أغراض الشباب ، خصوصاً هذا التشبيب الذي كان أهم أغراضه في شبابه فأصبح يقدمه أمام أغراضه الجديدة في قصائده ، من المدح والهجاء والشكوى وغيرهما منذ كره بعد هذا من أغراضه ، في عهد الذي صار إليه بعد قتل أبيه ، وكان يجب عليه وقد آلى تلك الالفة أن يترك ذلك التشبيب ، ويعرف أنه أصبح لا يلا ثم حاله بعد أن ترك النساء وتركه ، وأنه إذا كان يوافق أغراض نفسه في أيام لهوه ، ويتلأم معها في شعره ، فقد صار إلى أغراض جديدة ليست في شيء من ذلك اللهو ، ولا تتلأم مع التشبيب في الشعر كما كانت تتلأم تلك الأغراض القديمة معه ، لأنها كانت كلها في لهوه وما إليه من أمور نفسه ، فامرؤ القيس عندما في تقديمه التشبيب في هذا العهد أمام المدح وغيره من أغراضه فيه مثله في ذلك مثل غيره من الشعراء الذين أتوا بعده ، وجروا على تقديم التشبيب في الشعر أمام أغراضهم ، ولو لم يكن لتلك الأغراض ارتباط به ، أو تجتمع على الأقل معه فيما يعنى به الشاعر في حياته وهذه هي الأغراض التي تناولها امرؤ القيس في شعره وتأثر فيها بحاله في ذلك العهد بعد قتل أبيه :

(١) الراثاء: وقد قاله في رثاء أبيه وقتلى قومه ، ولم يرد اليئامنه إلا نذر لا يدل على بلوغه الاجادة فيه ، وقد رثى قبله خاله مهمل أخاه ظيبا بما لم يرث هو أباه بمثله في جودته وكثرته ، وسبب ذلك أن امرأ القيس لم يحزن على أبيه حزن خاله مهمل على أخيه ، لما كان من طرد أبيه له فيما يرويه الرواة على اضطرابهم في أمره ، وهو يدل مهما كان سببه على أنه كان في حياته منافرا لايه ، وقد قال حينما بلغه قتله (ضيعني صغيرا وحماني دمه كبيرا) وهذا يدل على أنه لم يبلغ حزنه عليه ما ينسبه طرده له ، وأنه لم يكن يدفعه في طلب تأثره الحزن عليه ، وإنما كان يدفعه طلب الملك ، والعار الذي كان يلحق عند العرب من يئام عن الثار

(٢) المدح: وكان يقوله مكافأة على صنيع يصنع معه في مطالبة بشاره ولكن لم يبلغ في إجادته مبلغ الشعراء الذين أتوا بعده ، واقتنوا فيه افتنانا لم يلحقهم فيه ، ولم يكن مدح الناس من شأن ابن ملك مثله ، وإنما هي الضرورة التي الجأت إليه ، فلم يوافق طبعه ، ولم يبلغ فيه ما بلغه في غيره

(٣) الهجاء: وكان يقول أيضا فيما كان يعنى به من تأثر أبيه ، ولا

يقوله في مثل ما كان يقوله فيه من أتى بعده وتكسب به ، ولم يكن يقذع إلا قليلا فيه ، فحافظ في ذلك على ما يليق بابن ملك وطالب ملك مثله ، وكان فيه خيرا منه في تشبيهه في أيام لهوه ، وذلك يرجع الى غفلته في شبابه وعمايته فيه ، وتيقظه إلى ما يليق به بعد قتل أبيه ، ويدخل في هذا الغرض ما كان من مناقضات بينه وبين شعراء بني أسد وغيرهم

(٤) الشكوى: وقد أجاد فيها لانه أخذ يقتل أبيه من بين أحضان اللهو أخذا ، واعتصبه الحوادث منها اعتصابا ، فكان لذلك أثره فيه ، ثم إنه لم يجد من التوفيق في تلك الحال التي دفع اليها دفعا ما ينسبه حلاوة تلك الايام

بل وجد فيها من غدر الدهر ، وتفرق الاخوان عنه ، وعدم وفاء الناس له
ما زاد في همومه ، و كدر في حياته ، فشكى في شعره وأجاد الشكوي فيه ،
ولام طبعه منها ما كان يلائمه من أغراض الشعر في أيام لهوه

(٥) الحكمة : وكان يلتمس بها الإماما في شعره ، ويدفعه إليها ما يلاقه في
دهره ، فتصدر عنه وفيها أثر سخطه على الناس وتجاريبه فيهم ، حين اضطرت له
الأيام إليهم ، وكان من قبل ذلك مشغولا بلهوه عنهم

(٦) الوصف : وقد ذكر منه في شعره ما يتعلق بحروبه مع بني أسد ،
وأسفاره إلى قيصر وغيره للاستعداد عليهم ، ثم غير هذا من الأوصاف
التي أتت في شعره

(٧) التشبيب : وكان يأتي به في هذا العهد مشوبا بالآلم والبكاء على
عهد الشباب ، والاجتماع بصواحيبه في غفلة الدهر وصفائه ، وكان يقدمه في
قصائده أمام المدح وغيره من أغراضه في ذلك العهد ، وهو ما نأخذه
عليه فيه

وهو في هذا العهد أيضا يجمع في قصائده بين هذه الأغراض ، ولا تكاد
تخلص قصيدة منها فيه لغرض واحد من المدح أو الهجاء أو غيرهما ، بل
يجمع فيها بين المدح والهجاء ، وبين الشكوى والتشبيب ، وهكذا ، وإذا كانت
لقصائده في عهده الأول وحدة تجمعها لتلائم أغراضها وإن اختلفت ،
وأنها كانت ترمى إلى غاية واحدة من اللهو الذي كان مشغولا به ، فإن قصائده
في هذا العهد لا توجد فيها هذه الوحدة ، لانه أراد أن يجمع فيها بين لهوه
القديم وجده الحادث ، واللهو والجد لا يجتمعان ، ولا يصح أن يؤخذ
أحدهما وسيلة إلى الآخر ، وهذه هي أشهر قصائده في هذا العهد
(١) (خليلي مرابي على أم جندب) (٢) (سمالك شوق بعدما كان أقصر)

- (٣) قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان (٦) لمن الديار غشيتها بسحام)
 (٤) (أرانا موضعين لحتم غيب) (٧) (ألما على الربع القديم بعسسا)
 (٥) (لعمرك ما بقلبي إلى أهله بحر) (٨) (تطاول ليالك بالاثمد)
 (٩) (أصبحت ودعت انصبا غير أني)

مختارات من شعره في جد حياته

قال في الشكوى والحكم :

- أرانا موضعين لحتم غيب ونسجر (١) بالطعام وبالشراب
 عصافير وذباب ودود وأجرأ من مجلحة (٢) الذئاب
 فبعض اللوم عاذلتني فاني ستكفيني التجارب وانتساني
 إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شباني
 ونفسي سوف يثلبها وجرمي فيلحقني وشيكا بالتراب
 ألم أنض (٣) المطى بكل خرق أمق الطول يلساع السراب
 وأركب في اللمام (٤) المجر حتى أنال مآكل القحم الوغاب
 وكل مكارم الاخلاق صارت إليه همتي وبه اكتسائي
 وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
 أبعد الحارث الملك ابن عمرو وبعد الخير حجر ذى القباب
 أرجى من صروف الدهر لينا ولم تغفل عن الصم المضاب
 وأعلم أنني عما قليل سأنشب في شباظفر وناب
 كما لاقى أبي حجر وجدى ولا أنسى قتيلا بالكلاب (٥)

- (١) هو من السحر بمعنى نلهم (٢) مأخوذ من جلع عليه بمعنى هجم وصمم،
 (٣) أهزلها من كثرة العمل (٤) الجيش والمجر الثقيل (٥) هو عمه شرحبيل

وقال في رثاء أبيه حين بلغه قتله ولم ينم ليلته :

أرقت لبرق بليل أهل يضيء سناه بأعلى الجبل
أتاني حديث فكذبه بأمر تززع منه القل
بقتل بني أسد ربهـم ألا كل شيء سواه جل (١)
فأين ربيعة عن ربهـا وأين تميم وأين الخول
ألا يحضرون لدى بسابه كما يحضرون إذا ما استهل

وقال يرثي إخوته الذين قتلهم المنذر ابن ماء السماء بالحيرة :

ألا ياعين بكى لي شنيـا وبكى لي الملوك الذاهيـنا
ملوكا من بني حجر بن عمرو يساقون العشيـة يقتلونـا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مريـنا
فلم تغسل جماجمهم بغسل ولكن بالدماء مرمليـنا (٢)
تظل الطير عاكفة عليهم وتنزع الحواجب والعيونـا

وقال يمدح سعد بن الضباب سيد إباد وكان قد لجأ إليه حين طلبه الملك
المنذر فأجاره بعد أن لجأ إلى هاني بن مسعود فأبى أن يجيره وقد تعرض
فيها لهجائه:

لعمرك ما قلبي إلى أهله بحر (٣) ولا مقصر يوما فيأنيـ بقـر (٤)
ألا إنما الدهر ليال وأعصر وليس على شيء قويم بمستمـر
ليال بذات الطلح عند محجر أحب اليـنا من ليال على أقر (٥)
أغادى الصبوح عند هروفرتنا وليدا وهل أفنى شباني غير هر
إذا ذقت فاما قلت طعم مدامـة معتقة مما تجيء به التجـر

(١) يطلق على الأمر العظيم والهيـن وهو المراد هنا (٢) ملطخين بالدم
(٣) يريد أنه لا يمكنه ألا يجزع عليهم (٤) بقرار (٥) واد واسع

هما نعيمتان من نعيم تبالة
 إذا قامتا توضع المسك منهما
 كائن التجار أصدوا بسيئة (٦)
 فلما استطابوا صب في الصحن نصفه
 بماء سحاب زل عن متن صخرة
 لعمرك ما إن ضربني وسط حمير
 وغير الشقاء المستبين فليتني
 أجر لسانى يوم ذاكم مجر
 وأقوالها (٣) إلا المخيلة والسكر
 إلى بطن أخرى طيب مأوها خصر
 وشجت بماء غير طرق ولا كدر
 من الخصى حتى أنزلوها على يسر
 برائحة من اللطيمة والقطار
 لدى جوذرين أو كبعض دمي (١) هكر

لعمرك ما سعد بخلة آثم
 لعمرى لقوم قد نرى في ديارهم
 أحب اليانا من أفلس بقنة
 يفا كنها سعد ويعدو بجمعنا
 لعمرى لسعد بن الضباب إذا غدا
 وتعرف فيه من أيه شمائلنا
 وساحة ذا وبر ذا ووفاء ذا
 ونائل ذا إذا صبحا وإذا سكر
 وقال يهجو البراجم ويربوعا ودارما
 ومجاشعا لخذلأنهم له وأبعه شرحبيل
 من قبله

ألا قبح الله البراجم كلها
 وأثر بالملحاة آل مجاشع
 ورجس يدع يربوعا وعفر دارما
 رقاب إماء يقتنين المفارما (٥)

(١) جمع دمية وهي الصورة المنقشة من الرخام أو نحوه (٢) الخمر التي
 شترت فحملت والخص مدينة بالشام اشتهرت بها (٣) ملوكها والمخيلة
 لخيلاء (٤) حمر الفرس الذين قوه (٥) الخرق يتضيقن بها لكثرة ما يفعل بهن

فما قاتلوا عن ربهم وريبتهم ولا آذنوا جارا فيظعن سالما
ولا فعلوا فعل العوير بجاره لدى باب هند إذ تجرد قائما
وقال في مناقضة سبيع بن عوف وكان يمت اليه بقرابة فنزل عليه فلم يعطه
فقال أبياتا يعرض بها فيه فأجابه عليها :

لمن الديار غشيتها بسحام	فعمائتين فهضب ذى أقدام
فصفا الاطيط فصاحتين فغاضر	تمشى النعاج بها مع الآرام
دار لهند والرباب وفرتنا	وليس قبل حوادث الايام
عوجا على الطلل المحيل لانتنا	نبكي الديار كما بكى ابن حزام
أو ماترى أظعانهن بواكرا	كالنخل من شوكان حين صرام
حور تعلل بالعبير جلودها	بيض الوجوه نواعم الاجسام
فطللت في دمن الديار كأننى	نشوان باكره صبوح مدام
أنف (١) كلون دم الغزال معتق	من خمر عانة أو كروم شبام
وكان شاربها أصاب لسانه	موم (٢) يخالط جسمه بسقام

ومجدة نسائها فتكمشت	رتك (٣) النعامة في طريق حامى
تخدى على العلات سام رأسها	روعاء منسما رثيم (٤) دامى
جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى	إنى امرؤ صرعى عليك حرام
فجزيت خير جزاء ناقة واحد	ورجعت سالمة القرا (٥) بسلام
فكأنما بدر (٦) ووصل كنيفة	وكانما من عاقل أرمام

(١) لم يشرب من دنها أحد قبله (٢) مرض يهذى صاحبه (٣) اهتزاز
(٤) ملطخ بالدم (٥) الظاهر (٦) بدرو كنيفة متباعدان وكانهما وصلا بسرعتها

أبلغ سبيعا إن عرضت رسالة أني كهمك إن عشوت أحامى
 فاقصر إليك من الوعيد فأنى مما ألقى لأشدد حزامى
 وأنا المنبه بعد ما قسد نوموا وأنا المعال صفحة النوم
 وأنا الذي عرفت معد فضله ونشدت عن حجر ابن أم قطام
 خطى ابن كبشة قد علت مكانه وأبو يزيد ورهطه أعمامى
 وإذا أذيت ببلدة ودعتها ولا أقيم بغير دار مقامى
 وأنزل البطل السكريه نزاله وإذا أناضل لا تطيش سهامى
 وقال فى حربته التى ظفر فيها بينى أسد :

يادار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل
 صم صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل
 قولاً لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل
 قد قرت العينان (١) من مالك ومن بنى عمرو ومن كاهل
 ومن بنى غنم بن دودان إذ نقذف أعلام على السافل
 نطعنهم سلكى (٢) ومخلوطة كرك لأمين (٣) على نابل
 إذ هن أقساط (٤) كرجل الدبا أو كقطا كاظمة الناهل
 حتى تركناهم لدى معرك أرجلهم كالخشب الشائل
 حلت لى الخمر وكنت امرأ عن شربها فى شغل شاغل
 فالיום أسقى غير مستحقب (٥) إنا من الله ولا واغل
 وقال فيما بينه وبينهم أيضا :

تطاول ليلى بالاسمد ونام الخلى ولم ترقد

(١) يريد أنه قرت عيناه من قتله لهم (٢) طاعة مستوية (٣) اللام
 بهم المريش (٤) فرق (٥) مكتسب

وبات وبات له ليسلة كليلة ذى العائر (١) الأرمم
وذلك من نبأ جاني وخبرته عن أبي الأسود
ولو عن ثا (٢) غيره جاني وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول مالا يزا ل يؤثر عني يد المسند
بأى علاقتنا ترغبون أعن دم عمرو على مرثد
فان تدفنوا الداء لانخفه وإن تبعثوا الحرب لانقعد
وإن تقتلونا تقتلكم وإن تقصدوا لدم تقصد
وأعددت للحرب وثابة جواد المحنة والمرود (٣)
سبوحا جموحا وإحضارها كمعمة السعف الموقد
ومشدودة الشك (٤) موضونة تضائل في الطي كالمبرد
تفيض على المرء أروانها كفيض الاني (٥) على الجدجد
ومطردا (٦) كرشاء الجرو ر من خلب النخلة الأجرد
وذا شطب غامضا كلمه إذا صاب بالعظم لم ينأد
وقال من قصيدته في رحلته إلى قيصر مع صاحبيه عمرو وجابر وهي
أطول قصائده في هذا العهد :

سمالك شوق بعدما كان أقصرا وحلت سليمى بطن ظبي فعرعرا
كنانية بانث وفي الصدر ودها مجاورة غسان والحي يعمرها
بعيني ظعن الحي لما تحملوا لدى جانب الأفلاج من جنب قيمرا
فشبهتهم في الآل (٧) لما تكلمشوا حداثق دوم أوسفينا مقيرا

(١) الرمد (٢) النثا ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوسيه (٣)
هو حديدة تدور في اللجام (٤) ماخوذ من شك القوم بيوتهم إذ جعلوها
مصطفة متقاربة ويريد بهاد رعه (٥) السيل (٦) سوطا بمددا (٧) الآل السراب

أو المكرعات من نخيل ابن يامن دوين الصفا اللاني يلين المشقرا
 غلقن (١) برهن من حبيب به ادعت سليمي فأسمى جبلها قد تبترا
 أأسماء أمسى ودها قد تغيرا سنبدل إن أبدلت بالود آخرا
 ألا هل أتاها والحوادث حمة بأن امرأ القيس ابن تملك يبقرا
 تذ كرت أهلي الصالحين وقد أتت على نخلي خوض الركاب وأوجرا
 فلما بدا حوران والآل دونه نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
 تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
 ولم ينسني ما قد لقيت ظمائنا وخملا لها كالقر (٢) يوما مخدرا

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا
 بعيدة بين المنكبين كائما ترى عند مجرى الضفر هرام شجرا (٣)
 تطاير ظران الحصى بمناسم صلاب العجى (٤) ماثوما غير أمعرا
 عليها فتى لم تحمل الأرض مثله أبر بميثاق وأوفى وأصبرا
 هو المنزل الآلاف من جونا عط بنى أسد حونا من الأرض أوعرا
 ولو شاء كان الغزو من أرض حمير ولكنه عمدا إلى الروم أنفرا

بسكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
 فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
 وإني زعيم إن رجعت مملكا بسير ترى منه الفرائق (٥) أزورا

(١) غلق الرهن لزم ويعنى أنهم ذهب بقلبه (٢) القر الهودج ومخدرا
 حال منه شبه ما على الطعائن من ألوان الثياب بالوان الثياب التي ألبست الهودج
 (٣) مربوطا يحملها على الاسراع في المشى (٤) جمع عجاية وهي عصبة في باطن يد
 الناقة وملتوما خفها (٥) الاسد

على لاحب لا يهتدى بمناره
لقد أنكرتني بعلبك وأهلها
نشيم بروق المزن أين مصابه
من القاصرات الطرف لودب محول
له الويل إن أمسى ولا أم هاشم
أرى أم عمرو دمعا قد تحدر
إذا نحن سرنا خمس عشرة ليلة
إذا قلت هذا صاحب قد رضيت
كذلك جدى ما أصاحب أصحابا
وكنا أناسا قبل غزوة قرمل
وما جنت خيل ولكن تذكرت
ألا رب يوم صالح قد شهدته
ولا مثل يوم فى قداران ظلته
ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا
وقال فى مرضه بأنقرة :

أما على الربع القديم بعسعسا
فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا
فلا تنكرونى إني أنا ذاكم
فاما ترينى لا أغمض ساعة
كأنى أناذى أو أكلم أخرسا
وجدت مقبلا عندهم ومعرسا
ليالى حل الحى غولا فالعسا
من الليل إلا أن أكب فأنعسا

(١) الجمل المسن

(٢) هو قميص غير مخيط الجانبين (٣) المواضع التى يحمىها ويدافع عنها

(٤) هى صغار الغنم

فيارب مكروب ~~ك~~كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا
 ويارب يوم قد أروح مرجلا حببنا إلي البيض الكواعب أملسا
 أراهن لا يحبين من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا
 وما خلت تبريح الحياة كما أرى تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا
 فلو أنها نفس تموت جميعة (١) ولكنها نفسا تساقط (٢) أنفسا
 وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيالك من نعمي تحوان أبؤسا
 لقد طمح الطماح من نحو أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا
 ألا إن بعد العدم للبرء قنوة (٣) وبعد المشيب طول عمر وملبسا

منزلة امرئ القيس في الشعر

(١) محاسنه عندهم

في أغراضه : إذا نظرنا إلى امرئ القيس في أغراضه الشعرية نظرة
 إجمالية نجده قد قصد فيها إلى ما عرفه شعراء عصره منها ، ولم يزد في أغراض
 الشعر غرضا جديدا يحسب له ، ولم يخترع فيها ما يسير بالشعر العربي في
 مقاصد أخرى ، وأغراض جدية غير تلك الأغراض المبتدلة ، وإذا نظرنا
 إلى أغراضه نظرة تفصيلية نجدهم يذكرون له في التشبيب أنه أول من رقق
 ألفاظه ، وفرق بينه وبين ما سواه في القصيدة ، ويذكرون له في الوصف أنه
 أول من أجاد وصف الخيل والنساء ، واستعمل في ذلك بديع التشبيه ، وجميل
 الاستعارة ، وكان الشعراء قبله يقولون في المرأة الحسناء أسيلة الخد ، تامة
 القامة أو طويلة ، جيداء أو طويلة العنق ، فقال في ذلك أسيلة مجرى الدمع ،

(١) مجتمعة دفعة واحدة (٢) تخرج شيئا فشيئا من طول المرض

(٣) غني

بعيدة مهوى القرط ، وكانوا يقولون في الفرس يلحق الغزال ويسبق
الظلم فقال : (بمنجرد قيد الاوابد هيكل) وهكذا ، وله في وصف الليل
والسحاب والبرق والمطر ونحو ذلك استعمالات حسنة ، وأوصاف كان
أول من سبق إليها أيضا

ولم يبرز امرؤ القيس في شعره مثل ما برز في هذين الغرضين ، وكل ما
يستحسنونه له من الشعر لا يكاد يخرج عنهما ، وقد أمضى فيهما عهد قوته
وشبابه ، ونطق فيهما عما يوافق طبعه ، ويلائم سجيته ، وكان هذا هو سبب
تبريزه فيهما

في ألفاظه ومعانيه : تأثر امرؤ القيس في ألفاظه ومعانيه بنشأته في تلك
العربية الخالصة ، فلا ترى له إلا قليلا عبارات نازلة ، ثم كان له من يثبته
الملكية البدوية وما فيها من سهولة وشدة عاملان مختلفان في ذلك أيضا ، فجاءت
ألفاظه جزلة رقيقة في أكثر تشبيهه وما إليه مما كان يتعلق بترفعهم ، شديدة
غامضة في وصف النوق والخيول والصيد وغير ذلك من أمور بداوتهم
فليس لامرؤ القيس مما يستحسنونه له في أغراضه وألفاظه ومعانيه
إلا رقة التشبيب ، وإجادة وصف النساء والخيول ، والسحاب والليل ، والمطر
والبرق ، وابتداعه في ذلك من المعاني والتشبيهات والاستعارات أشياء استحسنها
العرب ، واتبعه فيها الشعراء ، مثل استيقاف الصاحب ، والبكاء على الديار ،
وتشبيه النساء بالطباء والمها ، وتشبيه الخيل بالعقبان والعصى ، إلى غير
ذلك مما قالوا إنه جرده في الشعر وأساليبه

قال خلف الأحمر : لم أر بيتا أفاد وأجاد وساد وزاد وقاد وعاد ولا أفضل
من قول امرؤ القيس :

له أبطالا ظى وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تنفل

فقد شبهه أربعة أشياء بأربعة أشياء مع إحسانه في ذلك وهذا كله في بيت واحد
وقال بشار بن برد : لم أزل أحسد امرأ القيس علي قوله :
كأن قلوب الطير رطبا ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
حتى قلت :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبها
ولكن امرأ القيس قد سبق إلى صحة التقسيم في التشبيه ، ولم يتمكن
بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى ، دون صحة التقسيم والتفصيل
ومن أحسن ما وصف به امرؤ القيس الفرس قوله :

وقد أغتدى والطير في وكنساتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
فابتدع في وصفه هذا الوصف (قيد الأوابد) وعنى بذلك أنه إذا
أرسله على الصيد صار قيذا له من شدة عدوه ، وهو من التشبيه البليغ
أو الكناية ، وقد اقتدى الناس والشعراء به فيه ، فقالوا (قيد النواظر .
قيد الإحاطة . قيد الكلام . قيد الحديث . قيد الرهان)

وذكر ابن قتيبة أن أشرافا من الناس والشعراء اجتمعوا عند عيد الملك
فسألهم عن أرق بيت قالته العرب ، فاجتمعوا على قول امرئ القيس :
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
وقال الخطيب امرؤ القيس أشعر الناس حيث يقول :

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذبل
وقيل للفرزدق من أشعر الناس فقال ذو القروح حيث يقول :
وقاهم جدم بيني أيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وكان بنو أسد قد لحقوا بيني كنانة فقصدتهم امرؤ القيس فقاتلت كنانة
دونهم حتي فروا ولم يظفر بهم ، ويعنى بالأشقين بني كنانة وما زائدة في

الاثبات علي لغة أهل بيته

واستحسنوا له أيضا قوله في المدح :

وتعرف فيه من أبيه شمائله ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

جمع في بيت واحد ما أفاده عنتره في بيتين :

فاذا شربت فأننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى
وهو أحسن من قول طرفة :

أسد غيل فاذا ما شربوا وهبوا كل أمور وطمر
لأنه جعل سخاءهم في هذا الوقت الذى تذهل فيه عقولهم ، دون غيره
من أوقات صحوهم

وما اخترعه من التشبيه الوهمى قوله :

أيقننى والمشرقى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وما اخترعه من النوع المعروف بالتبعية قوله :

وتضحى ففتيت المسك فوق فراشها تشوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وقوله

أمرخ (١) خيامهم أم عشر أم القلب فى أثرهم منحدر

وما اخترعه من النوع المعروف بالايغال قوله

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول هزى الريح مرت بأثاب

وقال فى عرفان الاطلال بشغفه اليها :

لمن طلل دارس آيه أضرب به سالف الأحرص

(١) المرخ نبات بنجد والعشر بالغور فكنى بالنباتين عن الموضعين

تسكره العين من جانب ويعرفه شغف الانفس
 رقد قلده فيه الحارث بن خالد المخزومي فقال :
 لو بدلت أعلى منازلها سفلا وأصبح سفلا يعلو
 لعرفت مغناها بما احتملت من الضلوع لاهلها قبل
 فقال ابن سلام : جعل سفلا علوا ما بقي إلا أن يسأل الله لها حجارة
 من سجيل

ولا مرى القيس أبيات كثيرة جرت مجرى المثل كقوله :
 وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
 وقوله :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
 ومطالعه أيضا عندهم أحسن مطالع عصره ، مثل مطلع معانيه :
 قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
 فقد وقف فيه واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر العهد والمنزل والحبيب
 وتوجع واستوجع ، وأتى بكل هذا في بيت واحد ، ثم إن ابتداءه بطلب
 الوقوف من أحسن ما يبدأ الكلام به ، لمناسبته له ، ودلالته على أن هناك
 شيئا مهما يراد الشروع فيه ، ويطلب الوقوف من أجله ، وقد جرى امرأ
 القيس في هذا المطلع كل من أتى بعده ، فابتدأ به شعره أو حام فيه حوله
 ومن مطالعه المبتكرة أيضا قوله :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
 وقد حاذى القطامي هذا المطلع ، فقد مطلعته أحسن مطالع الشعراء
 الاسلاميين ، وذلك إذ يقول :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل

وهذا ونحوه هو الذى قدم به جمهور علماء الادب امرأ القيس على غيره، وجعلوه به زعيم شعراء عصره، وقد رووا أن العباس سأل عمر رضى الله عنهما عن الشعراء فقال: امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصبح بصر، يريد أن امرأ القيس من اليمن، وأن أهلها ليست لهم فصاحة نزار، فكأن ألفاظهم ومعانيهم عور، فجاء امرؤ القيس ففتق عنها، وجعلها أصبح من غيرها، ويعنى بذلك تلك المعانى والتشبيهات التى ابتكرها، وقلده الشعراء فيها، وابتكار مثل هذه المعانى لا يقتصر على امرئ القيس وحده، ولا يزال الشعراء يبتكرون فى الشعر ما هو أعم مما ابتكره امرؤ القيس فى شعره

(٢) مأخذه عندهم

فى أغراضه: لم نجد لهم مأخذاً على امرئ القيس يتعلق بأغراضه إلا تعبيره فى تشبيهه، وتجاوزه حدود العفة والاخلاق فيه، مثل قوله فى مخلقته فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحق شقها لم يحول فهذا فحش بالغ لا يليق ذكره فى الشعر، ولا تبيحه الاخلاق والمروءة، وقد قيل إنه يجوز أن يكون هذان البيتان مما حمل عليه من شعر صعايكة، ولكنه لا يوجد ما يدل على أنهما من شعرهم إلا شدة قبحهما، ولا شك أن امرأ القيس حين عاشهم، وطال اختلاطهم بهم، تأثر ببيئتهم، وذهب فى أمورهم مذهبهم، فلا يبعد عليه أن يقول هذا الفحش وأقبح منه، إذا كان يوجد ما هو أقبح منه

وقد حام امرؤ القيس حول هذا المعنى فى قصيدة له أخرى يقول فيها:

أصبحت ودعت الصبا غير أنى أراقب خللات من العيش أربعا
فمنهن قولى للندامى ترفقوا يداجون نشاجا من الخمر مترعا
ومنهن سوف الخود قد بلها الندي تراقب منظوم التمام مرضعا
يعز عليها ريتى ويسوءها بكاه فتثنى الجيد أن يتضوعا
وهو فى هذا وغيره يكثّر من ذكر قصده الحبليات والمراضع ، ليفيد شدة
شغف النساء به ، وأنه كان مطلوبهن ومعشوقهن ، حتى كن يؤثرنه على
أولادهن ، ومثل هذا قد أخذ على ابن أبى ربيعة بعده ، فقالوا إنه كان فى
تشبيهه بالنساء يشبب بنفسه ، فيذهب ذلك بجهال تشبيهه ، والنفس إنما تهش
للتشبيب لتعلقه بالنساء ، ولا تستحسنه إذا تعلق بالرجال ، فأصبحوا فيه
مطلوب النساء ، ولم يصبح النساء فيه مطلوبهم ، وامرؤ القيس هو اللاحق
بأن يؤخذ بهذا قبله ، لانه هو الذى سنه له ، وسبقه اليه ، ثم إن ذلك الشغف
بهذا الصنف من النساء لا يتحدث به فى كل موطن شاعر كريم عن نفسه ،
لان النفس العاليلة تستقدره ، وتطلب أبكار النساء ، وتترك الحبليات
 والمراضع استقذاراً لهن ، ولان فيه من خيانة أزواجهن ما يربأ بالشاعر
الكريم أن يصم به نفسه ومن يعشقهن ، وليس فى حب الابكار من الريبة
وإرادة الفحش ما فى حب الشيات والمراضع والحبليات

وقد قيل (١) فى الاعتذار عن تعيير امرئ القيس فى تشبيهه إن كل
المعاني الشعرية معرضة للشاعر ، فله أن يتكلم فيما يحب منها لا فيما يحبه سواه
وأيد هذا بما قاله قدامة فى كتابه نقد الشعر (والذى يلزم الشاعر فقط أنه
إذا شعر فى أى معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة
والمدح والذم وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة التى يملئها على الشاعر
(١) كتاب أمير الشعر فى العصر القديم ص ١٨٨ طبع مطبعة العلوم

و جلدانه ويوحياها إليه شيطانه أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة (فليس تعبير امرئ القيس مما يذهب بحسن شعره وجودته ويغطي على بلاغته وجزالته . ولا يخفى أنه لو صح هذا كله لجاز على قياسه أن يقال إن كل الأشياء في الدنيا معرضة للانسان فله أن يتناول منها ما يحبه لا ما يحبه سواه ، لا يقيد في ذلك دين ولا خلق ، وهذا قطعاً غير صحيح ، ولا يقول به عاقل ، فكذلك الشاعر يجب أن يقيد في تلك المعاني الشعرية المعرضة له ، وألا تباح له على إطلاقها ، والذي يقوله قدامة من ذلك يجرى فيه على مذهبهم في الشعر أنه الفاظ ومعان وأخيلة ، وليس لنبل غرضه وسمو غايته وزن فيه عندهم ، ولكن مذهب قدامة في ذلك أخف من مذهبهم في وقف جودة الشعر على المعاني الذميمة الداخلة في باب الشر ، إذ لا يقوى الشعر عندهم إلا فيما وفيه ، دون باب الخير ومعانيه ، فهو يرى أن توخى الجودة اللفظية إلى الغاية المطلوبة يمكن في البابين ، مستطاع في المعاني الحميدة والذميمة معاً في ألفاظه ومعانيه : وكما استحسنوا لامرئ القيس في الفاظ الشعر ومعانيه تلك المعاني التي قالوا إنه ابتدعها فيه ، أخذوا عليه معاني كثيرة ، واستهجنوه في أشياء سقطت في شعره ، وعدوا عليه ما وقع فيه من جفاء في العبارة ، ووعورة في الألفاظ ، وتجهم في المعاني ، وخشونة في التشبيه ، وما إلى ذلك مما تأثر فيه ببعض بداوته

وقال عبد الله بن المعتز : عيب على امرئ القيس قوله في معلقته :

أغرك منى أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

فاذا لم يغرها هذا فأى شيء يغرها ، وإنما هذا كأمير قال لمن أسره (أغرك منى أنى في يدك) وقد تكلف بعضهم الجواب عن هذا بأن الاستفهام ليس على حقيقته ، وإنما هو استفهام تقريرى ، ومعنى البيت (لقد غرك منى أن حبك قاتلي) فهو نوع من شكوى العشاق ولا شيء فيه ؛ ولكن هذا لا يكون

من الشكوى في شيء ، وإنما هو أسلوب من أساليب التوبيخ التي لا تليق في
العشق ، ولا تحسن في الصباية

وقال رؤبة ما رأيت أفخر من قول امرئ القيس
فلو أنما أسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي
ولا أنذل من قوله في قصيدته (ألا إلا تكن إبل فمعزى)
لنا غنم نسوقها غزار كان قرون جلثها العصي
فتملاً يتنا أقطا وسنما وحسبك من غنى شعب وري
قال احمد بن عبيد الله بن عمار: إنه قول أعرابي متلفع في شملته ، لا تجاوز
همته ما حوته خيمته

وعاب عليه أبو سعيد محمد بن هبيرة قوله في نااقته :
وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهمر
فقال : هذا ردى. مالها وللسوط
ومثل هذا عابته عليه امرأته أم جندب في وصف فرسه :
فللسوط ألحوب (١) وللساق درة (٢) وللزجر منه وقع أخرج (٣) مذهب
وعيب عليه أيضا قوله :

وعين لها حدرة (٤) بدرة فشقّت ما آقيهما من آخر
فوجد العين ثم رد اليه ضمير الاثنين ، وقد أجاز ذلك أبو عمرو فلا يكون
فيه عيب عليه

ومن خشونة تشبيهه في شعره يصف بنان حبيبته :

(١) شدة جرى (٢) يريد أنه يدر جريه به (٣) ظليم شديد العدو
(٤) مكتنزة ممتلئة

وتعطو برخص غير شثن كانه أساريع ظلي أو مساويك إسحل
ومنها في وصف شعرها :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعشك
ومن وعورة ألفاظه واستكراهما و غرايتها قوله :

رب خطبة مسجنفـه (١) وطعنة مشعـنجره (٢)

وجفنة متـحيره (٣) تبقى غـداً بأنقره

تكراره في ألفاظه ومعانيه : وما يؤخذ على امرئ القيس أيضاً أنه كان
يكرر المعاني بألفاظها في قصائده ، ويكثر في ذلك إكثاراً يعد عليه ، ويدل
على قلة تصرفه ، وكان الباحثرى يفضل الفرزدق على جرير لانه يتصرف من
المعاني فيما لا يتصرف فيه جرير ، ويورد منها في شعره في كل قصيدة خلاف
ما يورده في الاخرى ، وجرير يكرر في هجائه ذكر الزبير ، وجعثن ، والنوار
وأنه قين مجاشع ، ولا يذكر شيئاً غير هذا ، وما يفعله امرؤ القيس من ذلك
في قصائده أكثر مما كان يفعله جرير منه في شعره ، وأظهر عيباً منه ، وهذه
أمثلة مما كان يكرره :

(١) قال في وصف الفرس من قصائد له :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وقد أغتدى والطير في وكناتها وماء الندى يجرى على كل مذنب

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدى قبيض (٤)

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدى قبيص (٥)

وقد أغتدى والطير في وكناتها لغيث من الوسمى رائده خالى (٦)

(١) لم يتوقف فيها صاحبها (٢) سائل دمها (٣) ممتلئة (٤) سريع

(٥) نشيط (٦) منفرد لخوف الناس منه

وقد أغتدى قبل الشروع بساجح أقب كيغفور الفلاة محب
 وقد أغتدى ومعى القانصان وكل بمربأة مقتفر (١)
 وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
 (٢) وقال أيضاً في انتقاله إلى وصف ناقته :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا
 فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة مداخلة صم العظام أصوص
 (٣) وقال أيضاً في تشبيهه :

ألا رب يوم لك ممنهـن صالح ولا سـيما يوم بدارة جلجل
 ألا رب يوم صالح قد شهدته بناذف ذات التل من فوق طرطرا

إذا قامتـا تـضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت برىا القرنفـل
 إذا قامتـا تـضوع المسك منهما برائحة من اللطيمة والقطر
 (٤) وقال في وصف الاودية :

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالخلـيع المعيل
 وواد كجوف العير قفر مضلة قطعت بسام ساهم الوجه حسان
 (٥) وقال في وصف المطر :

وأضحى يسح الماء حول كتيفة يكب علي الاذقان دوح الكنبـهل
 فأضحى يسح الماء عن كل فيقة يحور الضباب من صفاصف (٢) يـيـض
 (٦) وقال يفتخر بشجاعته ونجدته :

فيارب مكروب كررت وراه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا
 فيارب مكروب كررت وراه وعان فككت الغل عنه ففداني

(١) متبع آثارها (٢) فلوات عارية من النبات

(٧) وقال في مطالع قصائده :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوا بين الدخول فحومل
قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم خلت آياته منذ أزمان

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
ألا عم صباحا أيها الربع فانطق وحدث حديث الركب إن شئت فاصدق
سرقاته : كان امرؤ القيس يهجم كثيرا على شعر غيره فيأخذ منه الفاظه
أو معانيه ، وأكثر ما كان يفعل ذلك مع أبي دؤاد الأيادي وعبيد بن الأبرص
وهذه أمثلة مما أخذه في شعره بلفظه أو معناه من شعر غيره :

ا : قال عبيد :

تبصر خليلي هل ترى من ظمائن سلكن غميرا دونهن غموض
فأخذه امرؤ القيس في قوله :

تبصر خليلي هل ترى من ظمائن سلكن ضحيا بين حزمى شعيب
ب : وقال عبيد :

وبيت عذاري يرتمين بخدرة دخلت وفيه عانس ومريض
فأخذه امرؤ القيس في قوله :

وبيت عذاري يوم دجن ولجته يطفن بجوار المرافق مكسال
ج : وقال عبيد قصيدته :

عيناك دمعهما سروب كأن شأنهما شعيب
فقلده امرؤ القيس فيها وأخذ كثيرا من ألفاظها ومعانيها في قصيدته :
عيناك دمعهما سجال كأن شأنهما أوшал
وقال أبو دؤاد :

ولقد أغتدى يدافع ركني أحوذى ذومبعة إضريح
مخاط مزيل مكر مفر منفح مطرح سبوح خروج
فأخذه امرؤ القيس في قوله :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاواء هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلود صخر حطه السيل من عل
وقال أبودوداد :

والدهر يلعب بالفتي والدهر أروغ من ثعالة
فأخذه امرؤ القيس في قوله :

ألم أخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا
فهذه جملة ما أخذهم على امرئ القيس ، وهي لا تقتضى تأخيرها في الاطلاق
عن غيره ، كما لا تقتضى محاسنه عندهم تقديمه على شعراء عصره ، وما من
شاعر إلا وله محاسن تعدله في شعره ، وعيوب تؤخذ عليه فيه ، فلا يصح
أن تغطي حسناته الشعرية على سيئاته ، ولا أن تغطي سيئاته على حسناته ،
والشاعر إنما يوزن بامور أعم من ذلك وأهم منه ، وهي أمور تتعاقب به من
جميع نواحيه ، وتنظر إلى شعره نظرة عامة ، أما تلك الامور التي تتعلق
ببعض نواحيه فهي أمور ثانوية ، لا ينظر اليها إلا بعد تلك النظرة العامة

عدى بن زيد

هو عدى بن زيد بن حماد (١) بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصىة بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، فهو تميمي مضرى ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ويلقب العبادى نسبة إلى العباد من سكان الحيرة ، وأمه نعمة بنت ثعلبة العدوية

وكان عدى نصرانيا وكذلك كان أبوه وأمه وأهله ، وقد تنصروا بالحيرة بعد انتقالهم إليها من البادية ، وكان عدى من دعاة النصرانية ، ويذكر بعض مؤرخى العرب أنه نصر النعمان بن المنذر فترهب ولبس المسوح وترك ملكه وخرج سائحا على وجهه فلا يدري ما كانت حاله ، ويذكر مؤرخو الروم أن الذى نصره الجاثليق صبر يشوع ، ويمكن كما قيل أن يكون عديا هو الذى رغبه فى النصرانية ، والجاثليق هو الذى عمده ، ولكن النعمان بن المنذر لم ينته ملكه بهذا الشكل ، وإنما انتهى بعزل كسرى له وحسنه بخانقين إلى أن مات بها وقد ضرب عدى فى بعض شعره للنعمان بن المنذر المثل بهذا الملك المنتصر وسيأتى ذلك فيما نختاره من شعره ، فلا بد أن هذا الملك المنتصر كان غيره وقد قيل إنه النعمان بن امرئ القيس ، ولكن عديا لم يدركه فلا يكون هو الذى نصره ، واختار بعضهم أنه النعمان الثالث بن الاسود ، وقد يكون نعمانا غير هؤلاء الملوك من أسرة المناذرة ومن لم يكن له ملك فيهم

ولم تكن نصرانية عدى بحيث تمنعه من مشاركة جمهور العرب فى تعظيم مكة ، واحترام الكعبة ، وحلفه فى شعره بذلك مع حلفه بالصليب وغيره مما يخالف به فى النصرانية ، كما يقول فى بعض شعره :

سعى الاعداء لا يألون شراً عليك ورب مكة والصليب
وقد يكون هذا لأن نصرانيته ونصرانية غيره من العرب في ذلك العهد لم
تكن نصرانية خالصة ، وقد يكون النصارى قبل الاسلام ان يكن في دينهم
ما يمنعهم من تعظيم الكعبة ، لأنهم امن ببناء اسماعيل وإبراهيم عليهما السلام (١)
ولا بد قبل درس حياة عدى من درس بيئته المكانية بالحيرة ، وبيئته القومية
في أسرته بها ، لان درسهما لازم لمن يريد أن يدرس حياته ، ويعرف العوامل
التي كان لها أثرها في تكوينه .

الحيرة

تقع الحيرة على ضفة الفرات الغربية في حدود العراق من البادية ، بينها
وبين الكوفة ثلاثة أميال ، وكانت عاصمة المناذرة ملوك العراق ، وكان
للفرس شيء من السيادة عليهم ، فلم تكن للعرب وحدهم ، بل كان فيها
سكان من شعوب كثيرة يقصدونها للتجارة أو نحوها مما تقصد المدن الكبيرة
لأجله ، وقد قسم سكانها ثلاثة أقسام (التنوخيون والعباد والاحلاف)
فالتنوخيون هم العرب الذين وفدوا إليها من اليمن مع مالك بن فهم وجذيمة
الابرش ، وكانت أم عمرو بن عدى النخعي مؤسس دولة المناذرة أخت
جذيمة ، وقبيلته لحم تدخل في أولئك العرب التنوخيين ، لان هذا الاسم
(تنوخ) أطلق عليهم بعد إقامتهم في الحيرة مع اختلاف قبائلهم ، فاشتق
لهم من تنخ بالمكان تنوخا إذا أقام به ، وجمعهم فيه هذه النسبة المكانية وإن
كانوا من قبائل متفرقة

(١) هذا ما اختاره القس لويس شيخو في كتابه (النصرانية وآدابها بين

عرب الجاهلية) ص ١١٨ مطبعة الآباء اليسوعيين .

والعباد نصارى الحيرة من العرب أيضا وكانوا من قبائل مختلفة مثل
 التنوخيين ، وقد اجتمعوا على النصرانية في الحيرة ، وكان لهم شأن في تاريخ
 العراق قبل الاسلام وبعده ، وكانوا نسطوريين في نصرانيتهم مثل نصارى
 الشرق من الفرس وغيرهم ، وكان لهم في الحيرة بيعة كبيرة تولاهم عدة أساقفة
 منهم ، وزاد شأنها ارتفاعا بعد تنصر المناذرة قبيل الاسلام
 والاحلاف سكان الحيرة من غير العرب ، وكانوا من شعوب مختلفة
 مثل الفرس والروم وغيرهم

وكانت الحيرة أما لقرى مخضبة تتواتر من العراق إلى الشام ، فأدى
 ذلك إلى اتساع عمراتها ، وعظم مبانيها ، حتى قيل إنها سميت الحيرة من
 الحوار وهو البياض ، لبياض أبينتها ، وكان لملوك المناذرة ووجوه دولتهم
 فيها كثير من القصور العجيبة ، والمنازل الجميلة ، ومن أعظمها قصرا الخورنق
 والسدير اللذان تغنى بهن عظمتهما شعراء العرب ، وكان الخورنق على ربوة
 مرتفعة تتسلط على الحيرة وتقع في شرقيها على ميل منها ، هذا إلى ما كان
 فيها من بيع النصاري وديورهم ومدارسهم ، وكذا مدارس الفرس وغيرهم ،
 وحوانيت التجارة ، ودور الصناعة ، وحاتنات الخور ، وغير ذلك من مظاهر
 الحضارة ، في جدها وهزلها ، وصحيجها وفاسدها ، وقد طارت بذلك شهرتها
 بين العرب ، وتغنوا بذكرها ، وطيب سكونها ، وصحة هوائها ، حتى قالوا :
 يوم وليلة في الحيرة خير من دواء سنة ، وقال عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق أثباج الركاب
 حضرنا في نواحيها قصورا مشرفة كأضراس الكلاب

وقد تأثرت العربية في الحيرة بهذه الحضارة المتأثرة بتلك العوامل المختلفة ،
 ودخل فيها كثير من ألفاظ الفرس والروم والكلدان وغيرهم ، واختلط

نيتها أبناء العرب بأبناء تلك الشعوب ، فعرف كثير منهم لغاتها ، ودرس آدابها ونظر في علومها ، واستفاد كثيرا من ذلك في لغته العربية وآدابها ، ولم يكن شأنه فيه شأن الاديب البدوي الذي لم يعرف شيئا منه ، ولم تعمل الحضارة عملها في تهذيب عقله ، وترقية فكره ووجدانه

آل عدى بالحيرة

كان أهل الحيرة ينقسمون إلى أسر مختلفة بعضها عربي وبعضها غير عربي ، وبعضها من الاسر الكبيرة المعروفة في المدينة ، وبعضها دون ذلك ، وبعضها يشتغل بالعلم والكتابة ، وبعضها يشتغل بالتجارة والصناعة وغير ذلك ، وكانت هذه الاسر تعيش في ظل دولة المناذرة آمنة مطمئنة متعاونة متآزرية ناهضة بأعمالها ، معتمدة عليها في معيشتها ، لا تعول فيها على ما يعول عليه أهل البادية ، من السلب والنهب ، باغارة بعضهم على بعض

وكان أول من نزل بالحيرة من آل عدى جده أيوب بن محروف ، أصاب دما في قومه باليامة وكان منزله فيها ، فهرب منها إلى الحيرة ، ولحق فيها بأوس ابن قلام أحد بني الحارث بن كعب ، وكان بينهما نسب من قبل النساء ، فأكرمه وأنزله في داره ، ولم يزل أيوب معه إلى أن كبر وخاف أن يموت فلا يعرف ولده من الحق لا أيوب مثل ما يعرفه ، فطلب إليه أن ينظر أحب مكان في الحيرة إليه ليقطعه إياه أو يبتاعه له ، وكان لا أيوب صديق في الجانب الشرقي من الحيرة يسمى عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب ، وكان منزل أوس بالجانب الغربي ، فطلب منه أوس أن يسكنه بجوار صديقه عصام ، فابتاع له موضع داره بثلاثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الابل برعاتها وفرسا وقينة ، فحسن حال أيوب بالحيرة ، واتصل بملوكها فقر به منهم وعرفوا

له حقه، ووصله منهم أموال وجوائز كثيرة، ولما مات قام ابنه يزيد بمقامه، واتصل بملوك الحيرة اتصاله، وقد خرج يوماً يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحفير، فأنفرد زيد في الصيد، وتباعد عن أصحابه، فلقى رجل من القوم الذين كان لهم الثأر قبل أبيه، فعدا عليه فقتله، وترك ابنه حماداً صغيراً، فقامت أمه بتربيته وعلمته الكتابة، فكان أول من كتب من بني أيوب، وقد خرج من أكتب الناس، وما زال شأنه يعلو في الكتابة حتى صار كاتب النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة، ثم ولد له ابن فسماه زيدا باسم أبيه، وعني بتربيته وتعليمه، وكان له صديق من الدهاقين العظماء يسمى فروخ ماهان، وكان محبا لحماة محسنا إليه، فلما حضرته الوفاة أوصى بابنه زيد إليه، فاخذه الدهقان وجعله مع ولده، وكان قد حنق الكتابة والعربية، فعلمه ذلك الدهقان الفارسية فلقفها، وكان فهما ليبيبا، فاعجب الدهقان به وأشار على كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازبة، فعمل بإشارته، ومكث زيد زماناً يتولى ذلك له، فلما مات النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة اختلف أهلها فيمن يملكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر لرجل ينصبه عليهم؛ فأشار عليهم الدهقان بزيد ابن حماد، فتولى أمر الحيرة إلى أن ملك كسرى عليها المنذر بن ماء السماء، فتولى أمرها، وكان له زيد بمنزلة المشير والوزير، وكان المنذر لا يعصيه فيما يشير عليه به، وقد تزوج زيد نعمة بنت ثعلبة العدوية وهي أم ابنه عدى قال عدى بالحيرة كانوا أهل ذكاء ونبوغ، وذوى إقدام وطموح، وقد بلغوا بذلك أعلى منزلة في الحيرة، حتى أصبحوا يسامون ملوكها المناذرة، وأصبح المناذرة لا يجدون لأنفسهم غنى عن معوتهم، وسماع نصيحهم وءشورتهم والانتفاع بنفوذهم عند كسرى الذي كان يده عزهم وتوليتهم

وكان آل عدى يمتازون بفطرة لا يكاد يشاركهم فيها غيرهم من العرب. وخصوصا أرومتهم المضربة البدوية ، فكانوا يميلون إلى الاخذ بالتعليم ، ويتخذون من الكتابة صناعة يتوصلون بها إلى ما آربهم في بلوغ السلطان والمجد والرفعة ، ولا يجدون غضاضة في تعلم لغة أخرى غير العربية إذا كان فيها ما يساعدهم على بلوغ ما آربهم ، وكانت الفطرة العربية في ذلك الوقت لا تشعر في نفسها بنقص يحوجها إلى تعلم لغة غير لغتها ، وترى في الشجاعة والكرم وما إليهما السبيل إلى بلوغ السلطان والمجد والرفعة

حياة عدى

ولد عدى بالحيرة في تلك الأسرة التي اتخذت صناعة الكتابة وسيلتها فيما تطمح اليه في دولتي الاء كاسرة والمناذرة ، فلما تحرك وأيفع طرحه أبوه في كتاب العربية ، حتى حذق الكتابة العربية ، وأتقن معرفة أساليبها وفنونها ، وكان الدهقان فروخ ماهان صديق هذه الأسرة العربية لا يزال حيا ، وكان له ابن في سن عدى يسمى شاهان مرد ، فارسل عديا معه إلى كتاب الفارسية فتعلم كتابتها ، والكلام بها ، حتى خرج من أفهم الناس بالفارسية ، وأفصحهم بالعربية ، وقد تعلم إلى ذلك كثيرا من آداب الفرس القولية والعملية ، فتعلم الرمي بالنشاب حتى خرج من الاسورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة ، إلى غير ذلك من آدابهم ومعارفهم ، وعاداتهم في معاشهم وتديبر شؤونهم ، وكان يأخذ نفسه مع ذلك بقول الشعر العربي حتى برع فيه ، وخرج كاتبا شاعرا ، وقد حفظ لنا التاريخ كثيرا من شعره ، ولم يحفظ لنا شيئا من كتابته ، ولم يكن أهل هذا العصر يعنون بحفظها كما يعنون بحفظ الشعر ، ولعل عديا كان يكتب بالفارسية أكثر مما يكتب بالعربية

ولعل كتابته العربية تأثرت بالفارسية أكثر من تأثر شعره بها ، فأمهلها الرواة لذلك ولم يحفظوها لنا ، وقد قيل (١) إنه كان له كتاب في تاريخ الروم أخذ المسعودي عنه

وقد كلم الدهقان كسرى في عدى فأخبره بان عنده غلاما من العرب أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، ورغب اليه في أن يضمه إلى ولده في ديوان دولته ، فأمره أن يرسله إليه ، وكان عدى جميل الوجه فائق الحسن ، وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه ، فلما كلمه وجدته اطرف الناس وأحضرهم جوابا ، فرغب فيه ، وأثبتته في ديوانه مع ولد الدهقان ، فكان أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ، ولم يزل بالمدائن مقربا من كسرى يؤذن له عليه في الخاصة من أهل مملكته ، فعلا بذلك صيته حتى رغب اليه أهل الحيرة ورهبوه ، وكان أبوه زيد لا يزال حيا ، ولكن ذكر عدى ارتفع عليه وأخمله وكان إذا أراد زيارة أهله بالحيرة استأذن كسرى في ذلك ، فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر من ذلك وأقل ، فاذا دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد فيقعدوا معه

ثم مات كسرى أنوشروان وملك ابنه هرمز ، فأبقى عديا على ما كان في عهد أبيه ، وزاد في تكريمه وتقريبه منه ، حتى إنه لما أراد أن يرسل هدية إلى طيباريوس ملك الروم اختاره على رأس الوفد الذي سار بها اليه ، فلما وصل عدى اليه أكرمه وحمله إلى أعماله على البريد ليطلعه على سعة أرضه ، فأقام مدة بالشام ووصف في شعره ما أعجبه من مدنها وغيرها ، ثم أرسل طيباريوس معه هدية إلى كسرى فقدم بها عليه بالمدائن ، وكان أبوه والدهقان الذي رباه قد هلك بالحيرة أثناء رحلته ، فاستأذنه في الالمام بالحيرة ، فسار

(١) تاريخ أدب اللغة العربية للاستاذ جرجي زيدان - ج ٢ ص ١٩٥

اليها حتى بلغها ، فتلقيه المنذر ووجوه دولته خارجها ، وأكرموه أكثر من أيه لما بلغه عند كسرى من تلك المنزلة ، فاتقام بينهم وهو أنبلهم في أنفسهم ولو أرادوا أن يملكوه لملكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك ، أو كان لا يرى أن يعتدى بذلك على المناذرة ، ويقيم به خلافا ونزاعا بين أهل الحيرة ، ومكث على ذلك سنين يبدو في فصلى السنة ، فيقيم في حفير ويشتو بالحيرة ، ويباقي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى ، وكان لا يؤثر على بلاد بنى يربوع مبدى من مبادي العرب ، ولا ينزل في حى من أحياء تميم غيرهم ، وكان أخلاقه من العرب كلهم بنى جعفر ، وكانت إبله في بلاد بنى ضبة وبلاد بنى سعد ، وكذلك كان أبوه يفعل لا يجاوز هذين الحيين بإبله وقد جعل المنذر ابنه النعمان في بيت عدى ، فهم الذين أرضعوه وربوه ، وجعل ابنه الاسود في بيت بنى مرينا من أشراف الحنظلة ، فأرضعوه وربوه أيضا ، وكان للمنذر عشرة أولاد غيرهما ، وكان يقال لأولاده الأشاهب من جمالهم ، فلما مات أبوهم ذهبوا إلى كسرى وطلبوا ملكه ، فدخلوا على عدى قبل أن يدخلوا عليه ، فجعل يخلو بهم واحدا واحدا ، ويقول لهم : إذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها وإذا دعاكم بالطعام لتأكلوا فتباطؤوا في الأكل وصغروا اللقم ونزروا مائتا كلون فاذا قال لكم اتكفوني العرب فقولوا نعم ، فاذا قال لكم فاذا شذ أحدكم عن الطاعة وأفسد اتكفوني فقولوا لا إن بعضنا لا يقدر على بعض ليهاكم ولا يطمع في تفرقكم ويعلم أن للعرب منعة وبأسا

ثم خلا بالنعمان فقال له : البس ثياب السفر وادخل متقلدا بسيفك وإذا جلست للأكل فعظم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد في الأكل وتجوّع قبل ذلك ، فان كسرى يعجبه كثرة الأكل من العرب خاصة ، ويرى أنه لا خير

في العربي إذا لم يكن أ كولا شرها ، وإذا سألك هل تكفيني العرب ؟ فقل . نعم ، فإذا قال لك فمن لي باخوتك ؟ فقل له إن عجزت عنهم فاني عن غيرهم لا أعجز . فدخلوا على كسرى والنعمان على حاله التي أوصاه بها عدى ، وإخوته على حالهم التي أوصاهم بها ، وقد حذر عدى بن مرينا الاسود من موافقة عدى في ذلك ، فقال له إنه لم يأتني نصحا وهو أعلم بكسرى منك وإن خالفته أوحشته وأفسد على ، فلما رأهم كسرى أعجبه جمالهم وكلامهم ، ورأى رجلا قلما رأى مثلهم ، ثم دعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدى ، فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ، فاعجبه أمره ، وملكه دونهم ، وألبسه تاجا قيمته ستون الف درهم . وقد تكون تولية النعمان بن المنذر بمساعدة عدى له ، ولكن بغير هذه الحيلة المكشوفة ، في هذه القصة المخترعة ، ومما يقدر في صحتها أن الذي ملك بعد المنذر ابنه عمرو بن هند لا ابنه النعمان كما توهمه تلك القصة

وقد عظم بذلك شأن عدى في دولة النعمان بن المنذر ، حتى أصهر إلى النعمان في ابنته هند ، فتزوجها عدي بعد أن رآها ورأته ، فشغف كل منهما حباً بصاحبه ، وقيل إنها كانت أخت النعمان لابنته ولعل هذا هو الأقرب فيها . وكان عدى بن مرينا يحقد على عدى هذه المسكنة عند النعمان ، فما زال يدس له عنده حتى ذكر للنعمان أنه يقول عنه إنه عامله ، وإنه هو ولده . ما ولده ، ثم كتب هو وأعوانه كتابا على لسان عدى إلى قهرمان له ، ثم دسوا اليه فأخذوا الكتاب منه ، وأطلعوا النعمان عليه ، فقرأه فاشتد غضبه على عدى ، فأرسل اليه أن يزوره وكان بالمدائن عند كسرى ، فسار اليه حتى أتاه فلم ينظر اليه حتى حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل يقول الشعر وهو في الحبس يستعطف به النعمان ، ويتنصل مما رمى به عنده ، ويعتذر فيه اليه منه ، ثم يكتب به اليه فلا يغنى عنده شيئا ، فلما طال سجنه

كتب إلى أخيه أبي بن زيد وهو مع كسري يخبره بأمره ، فأخبر كسري به ، فكتب إلى النعمان يأمره باطلاقه ، وكان للنعمان خليفة (سفير) عند كسري يقيم بالمدائن ، ويكتب إلى النعمان بما يهمه من أمره عند الأكرسة ، فكتب إليه بأمر كسري باطلاق عدى ، فلما علم النعمان بذلك أمر بقتله في سجنه ، ثم أخبر رسول كسري حين جاء إليه بموته ، وأرضاه بجزيل عطائه ، حتى لا يخبر كسري إلا بأنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، وكان قتل عدى حوالى سنة ٥٨٧ م

فاذا أردنا أن نستخلص من هذه الحياة القيمة لعدى العوامل التى يكون لها تأثير فى شعره وأدبه أمكننا أن نستخلص منها هذه العوامل :

- (١) أنه كان له دين يزعه عن ما آثم ذلك العهد الجاهلي
- (٢) أنه نشأ فى بيئة ثقافة وحضارة ، وتربى أحسن تربية بين أبناء عظماء العرب والفرس

- (٣) أنه عاش ملوك الفرس والعرب ، واشتغل بتدبير أمورهم ، وسياسة دولهم ، فحسبته تجاربها ، وراضته ممارسة شؤونها ومعضلاتها

- (٤) أنه كان يأخذ لنفسه حظها من لهُو الحياة من غير أن يسرف فيه ، أو يرتكب ما يخل بشرفه ، فاشتغل بالصيد ، وشارك فى مجالس الخمر ، ولم يكن عليه حرج منها فى دينه ، وأحب هنداً أخت النعمان فشغف بحبها ، وطلبها من أخيها زوجها فلم ييخل عليها ، فأحبها فى عفة ، وأرادها لهذا الغرض الشريف

لغة عدى وشعره

قد يبدو لظاهر الرأى أن عدياً من شعراء مضر ومن أهل الشمال ، وأن لغة شعره مضريه شمالية ، فلا يمكن أن يطعن على شعره من جهتها ، كما يطعن على شاعر من أهل الجنوب لغة شعره مضرية مثل لغة أهل الشمال ، ولكن هل كانت لغة أهل الحيرة عربية خالصة مثل لغة أهل البادية والعرب الخالص في قلب الجزيرة ؟ وكيف يمكن ذلك مع اختلاط أهلها من العرب بأهلها من الفرس والروم والكلدان وغيرهم من الشعوب الأعجمية التي كانت تشارك العرب في سكنى تلك المدينة ، وكان لها فيهم من النفوذ الدينى والسياسى ما لا تسلم معه لغتهم من تأثر به ، وقد اختلط العرب بعد الاسلام بغيرهم من تلك الشعوب ، وكانوا أصحاب السلطان والنفوذ فيها ، ومع ذلك تأثرت لغتهم بلغاتها ، وظهر أثر ذلك فيها من نواح كثيرة

على أن تأثر عربية الحيرة بذلك إذا كان هو المعقول من الناحية النظرية ، فإنه يوجد معها أيضاً نصوص نقلية تثبت تأثر عربية الحيرة بهذه المؤثرات أيضاً ، قال أبو عمرو بن العلاء : عدى بن زيد في الشعراء مثل الشعرى في النجوم تعارضها ولا تجرى معها ، قال أبو عبيدة يعنى أنه يشبهها ويقعد به عن شأوها ألفاظه الحيرية وأنها ليست بنجدية ، وقال الاصمعى : عدى ابن زيد وأبو دواد الأيادى لا تروى العرب أشعارهما لأن ألفاظهما ليست بنجدية ، وقال المفضل : كانت الوفود تفد على الملوك بالحيرة وكان عدى بن زيد يسمع لغاتهم فيدخلها في شعره

فكيف مع هذا ننظر الآن في شعر عدى فنجد لغته مثل لغة غيره من الشعراء ، وكيف لا نجد أثراً لتلك اللغة الحيرية فيه ؟ بل إن أى كلمة منه

أردت أن تفتش عنها في كتب اللغة وجدها بين أخواتها من كلمات اللغة التي أودعت فيها ، لافرق بينها وبين غيرها في نحوها أو صرفها أو غير ذلك من أحوالها ، فهل تبدل شعر عدى بعد عهد أبي عمرو والاصمعي حتى صارت لغته مثل لغة شمر غيره ؟ وإذا لم يكن من الممكن تبديله بعد ذلك العهد فكيف أصبحت الآن لغته لا تمتاز عن لغة غيره بعد أن كانت مميزة عنها في ذلك العهد ؟

وقد يبدو الجواب عن ذلك صعباً ، وما أسرع أديب عصرنا عند هذا إلى الحكم بأن هذا الشعر مختلف على عدى ، ولكن أمر هذا في شعر عدى مثل أمر غيره من الشعراء الذين لا تمثل أشعارهم الآن اختلاف لهجات قبائلهم ، كأنهم كانوا كلهم من قبيلة واحدة ، وقد قلنا في مثل هذا من الكلام على امرئ القيس إنه كان للشعر العربي قبل الاسلام لغة أدبية متفقة يحتذيها جميع الشعراء ، وكان لعامة العرب لغة تخاطب معربة أيضاً مثل لغة الشعر ، ولكنها لا تصل في جودتها وخصوص عربيتها ما تصل اليه لغتهم الأدبية في الشعر وغيره ، خصوصاً في عواصمهم التي كان يكثروا فيها اختلاط العرب بغيرهم ، وتصلهم من آثار الحضارة والشعوب المجاورة لهم ما تأثر به لغتهم ، ولا شك ان الشعراء لم يكونوا على درجة واحدة في احتذاء لغتهم الشعرية ، وأن بعضهم كان يتأثر بلغة عامة العرب خصوصاً في حواضرها فلا يتحرز بما يدخل فيها من غيرها ، وهذا مع محافظته على أصل لغة الشعر ، ووقوفه عند شكلها الذي تتميز به عن غيرها ، وكان يكثروا هذا في مثل عدى بن زيد وأمية بن أبي الصلت وغيرهما من الشعراء الذين حصلوا على حظ من الثقافة في ذلك العهد ، واطلعوا على آداب الامم الأعجمية ، فلم يروا أن ينفوا بالشعر العربي في لغته التي وقف عندها غيرهم ممن كان قبلهم أو في عهدهم ، حتى أصبحت تضيق

به ، ولا تفي بأغراضهم منه ، فتوسعوا فيه ، وأدخلوا فيه من الالفاظ
الاعجمية ما كان يتحرز غيرهم من الشعراء عنه ، وكان اختلاف الشعراء
في ذلك معروفا إلى عهد تدوين اللغة ، فلما دونت أشعارها وأخذت جميع
ألفاظها فوضعت في معجماتها وجعلت كلها لغة واحدة ، أصبحنا لانميز من
ذلك الخلاف بين الشعراء ما كان يميزه أبو عمرو والاصمعي ، ولا نعرف
تلك الالفاظ الخيرية التي كانت في شعر عدى ، ولكنها كانت على كل حال
بحيث لا تخرج بلغته في جملتها عن لغة الشعر العربي ، كما لا تخرج عنها لغة
شعرائنا المجددين في هذا العصر

جمع شعر عدى

ذكر صاحب الفهرست عديا في الشعراء الذين جمع أبو سعيد السكري
أشعارهم ، وقد ذكر أن جماعة أخرى جمعوه ولكنه لم يذكر أسماءهم ، واسم
أبي سعيد السكري الحسن بن الحسين ؛ وكان كوفيا حسن المعرفة باللغة
والأيام ، مرغوبا في خطه لصحته ، ثقة صدوقا قارئاً للقرآن ، وقد انتشر
عنه من كتب الادب ما لم ينتشر عن أحد من نظائره ، وكان إذا جمع جمعا
فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة ، وقد سمع يحيى بن معين وأبا حاتم
السجستاني والرياشي وخلق آخرون وتوفي سنة ٢٧٥ هـ

وقد روى أشعار عدى وأخباره قبل أبي سعيد السكري فيما ذكر صاحب
الاغانى هشام الكلبي والمفضل الضبي وابن الاعرابي ، وعلى روايتهم اعتمد
أبو سعيد السكري

ومع هذا فانه قد حمل على عدى شعر كثير ، قال محمد بن سلام الجمحي :
معدى بن زيد كان يسكن الحيرة ويرأى ابن الريف فلان لسانه وسهل

منطقه فحمل عليه شيء كثير وتخليصه شديد واضطرب فيه خلف وخلط فيه
المفضل فأكثر وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات وله بعد من شعر حسن
أرواح مودع أم بكور لك فاعلم لآلى حال تصير
أنعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورمك الشوق قبل التجلد
ليس شيء على المنون يباقي غير وجه المسبح الخلاق
لم أر مثل الفتيان في غبن الأيام ينسون ما عواقبها
وقال ابن قتيبة الدينوري فيه نحو ذلك ، ثم ذكر له أربع قصائد غرر
(الاولى والثانية والرابعة) وذكر بدل الثالثة قصيدته :

طال ليلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا
ثم ذكر قصيدته :

ألا يأيها المثرى المرجى ألم تسمع بخطب الاولينا
وذكر صاحب الاغاني طائفة صالحة من قصائده ، منها بعض هذه
القصائد ، ومنها قصائد أخرى ومقطعات تذكرها فيما يأتي :

أرقت لمكفهرات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب
طال ذا الليل علينا واعتكر وكأني ناذر الصبح سمر
أبلغ النعمان عني مألكا أنتى قد طال حبسى وانتظاري
من رآنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال
رب دار بأسفل الجزع من دو مة أشهى إلى من جيرون
لمن الدار تعفت بخيم أصبحت غيرها طول القدم
أحسبت مجلسنا وحس ن حديثنا يودى بمالك
ليت شعري عن الهمام ويأتي لك بخير الانباء عطف السؤال
سما صقر فاشعل جانبها وألهاك المروح والعزيب

أبلغ أيها على نأيه هل ينفع المرء ماقد علم
 علق الاحشاء من هند علق مستسر فيه نصب وأرق
 من لقلب دنف أو معتمد قد عصى كل نصوح ومفد
 يا خليلي يسرا التعسيرا ثم روحا فهجرا تهجيرا
 يا لبيني أوقدى النارا إن من تهوين قد حارا
 ألا من مبلغ النعمان عني علانية فقد ذهب السرار
 ألا من مبلغ النعمان عني فبيننا المرء أغرب إذ أراحا
 ألا يا ربما عز خليلي قتهاونت
 تعرف أمس من لميس الطلل مثل الكتاب الدارس الاحول
 بكر العازلون في وضح الصب ح يقولون لي ألا تستفيق

وقد جمع القس لويس شيخو اليسوعي أخبار عدى وأشعاره في كتابه شعراء النصرانية ، فذكر أكثر هذه الاشعار وأضاف اليها أشعارا أخرى من كتب أخرى وجدها فيها إلا ما كان منها غير موف بالمعنى فانه تركه ولم يذكره في كتابه ، وقد نقلنا من كتابه (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية) هاتين القصيدتين

إسمع حديثا لكي يوما تجاوبه عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
 سعي الرجيم إلى حوا وسوسة غوت بها وغوى معها أبو البشر
 وقد بحثنا له بين دواوين شعراء العربية عن ديوان جمع فيه شعره ، فلم نعثر له على ديوان بينها ، فجمعنا أشعاره من هذه الكتب المختلفة

شعر عدى

قد تهباً لعدى فى هذا العصر مالم يتهباً لغيره من الشعراء فيه ، نشأ فى رعاية أب أدرك حظاً كبيراً من ثقافة عصره ، فعنى بتربيته وتهذيبه وإعداده لما كان يرجوه له ، فأخذه فى أول أمره بلغته العربية وعلومها وآدابها ، ثم أخذه بعد ذلك باللغة الفارسية وعلومها وآدابها ، فتقف اللغتين ، وأخذ الأدب بالتعليم أخذاً منظماً ، ولم يترك لما ترك غيره له من شعراء البادية ، من تلك السليقة والفطرة غير المنظمة ؛ ثم قضى حياته كلها بين عاصمة الإكسرة والمناذرة ، تأخذه مظاهر الحضارة فيهما ، وتوثر فيه آيات الجمال بين ربوعهما ، ويأخذ لونا واحداً من الحياة ناعماً لنا ، كان له أثره فى لين شعره وانسجامه ، وأخذه فى ذلك شكلاً واحداً صقلته تلك الحضارة ، وهذبة تلك المدنية ، وكان له من دينه وبيئته وثقافته ما وقف به فى شعره عند حدود الفضيلة ، ولم يخرج به عن حد المروءة

ولم يقف تأثير عدى فى شعره عند هذه العوامل وحدها ، بل تأثر معها بما درسه من علم دينى واجتماعى ، وخصوصاً علم التاريخ الذى برع فيه ، واطلع به على أخبار الأمم المعاصرة له ، وأودعها فى كثير من شعره ، وقد تصرف بهذا كله فى فنون من الشعر نذكرها فيما يأتى :

(١) الحكمة : وهى حكمة بصيرة مهيبة متناسقة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، وترتبط أبياتها ارتباطاً وثيقاً ، وليست كتلك الحكم المتناثرة التى كانت ترسلها السليقة البدوية التى لم ترزق مثل تلك الثقافة ، وكان يرسل أحياناً تلك الحكم على لسان حيوان أو جماد لغرض من الأغراض ، كما فعل فى دعوته إلى النصرانية بعض ملوك الحيرة ، ولعله فى ذلك كان متأثراً بما قرأه من ذلك

في الادب الفارسي ، من كتاب كليلة ودمنة وغيره ، وكان هذا الكتاب قد ترجم في عهده بأمر كسرى أنوشروان من الهندية إلى الفارسية

(٢) القصص : وهو قصص جميل رائع ، يدل على اطلاع واسع ، وإلمام بأخبار الشعوب البشرية وأساطيرها ، ومعرفة بالتواريخ العربية والفارسية والرومية وغيرها ، ويزيد في جمال قصص عدى الشعرى أنه لا يسرده سردا تاريخيا صرفا ، بل يسوقه للعظة يستخلصها منه ، والحكمة يزينه بها ، وبعض قصصه ديني يتعلق ببعض قصص التوراة في مبدأ الخليقة وغير ذلك من القصص الدينية ، وقد نقل تلك القصص من لغة التوراة إلى اللغة العربية في أسلوب عربي رائع يدل على ما كان له من قدرة في الترجمة من تلك اللغات إلى العربية ، كما يدل على أنه كان يعرف إلى العربية والفارسية لغة التوراة من العبرانية أو السريانية أو الرومية ، إلا إذا كانت التوراة قد نقلت في عهده إلى العربية أو الفارسية ، وما نظنها كانت منقولة في ذلك العهد إليهما

(٣) الاعتذار والاستعطاف : وقد كان عدى في منزلة لا تحوجه إلى هذا الباب من أبواب الشعر ، ولكنه ألجى إليه إلهاء في آخر أمره ، حينما جحد النعمان بن المنذر يده عليه وزج به في سجنه ، وقد غضب النعمان بعد ذلك على شاعره البدوي النابغة الذبياني ، وكان منه اعتذار شعرى إليه ، واستعطاف مثل اعتذار عدى واستعطافه ، ولكن اعتذار النابغة اعتذار شاعر كانت صلته بالنعمان صلة تكسب واستجداء ، فيه خنوع وضعف ، وامتهان وذلة نفس ، أما اعتذار عدى فاعتذار صاحب اليد إلى من أنكرها ، وقابل الاحسان بالاساءة ، فيه قوة واعتداد بالنفس ، وشعور بعظمتها ورفعتها ، وإعطاء المعتذر إليه حقه في الاعتذار ، ولكن بغير هذا الخنوع الذي لا يليق بمن له مروءة وكرامة

وقد أصيب أبو الوليد بن زيدون من ابن جهور ملك قرطبة بمثل ما أصيب به عدى من النعمان ، فاستغل هذه المشابهة بين قصته وقصة عدى ، واستعطف ابن جهور في سجنه استعطافاً تتمثل زوابع عدلى في شعره ونثره ، ويتحد بعض قصائدهما أحياناً في الغرض الذي قيلت من أجله ، مثل قصيدتيهما في زيارة والديهما لهما في سجنهما ، ومثل هذا له مالا يخفى من الدلالة على أن ابن زيدون كان يقلد عدى في ذلك عن قصد ، ولا يوقعه فيه محض المصادفة (٤) التشبيب وما إليه : وكان لعدى بعد ذلك جولات في فنون الشعر المختلفة ، من التشبيب ، ووصف الخمر ، والمدح ، والهجاء ، ووصف الخيل والنوق ، وغير ذلك مما طرقة غيره من الشعراء ، ولكنه كان يقتصد فيه ، وينهج نهج الشاعر الحضري المهنذب ، فلا يسرف في تشبيبه ، ولا يخرج عن حد المروءة فيه ، وإذا وصف الخمر لا يذكر سكرأ ولا عريضة ، وإنما يذكر جمالها ، ويصف محاسنها عنده ، والقيمات اللاتي كن يسقينها له ، وكذلك كان في المدح والهجاء ، وقد كان مقتصداً فيهما جد اقتصاد ، حتى إننا لم نعثر له إلا على قصيدة واحدة في المدح ، وبيتين اثنتين في الهجاء .

مختارات من شعره في الحكم

قال في داليتة المشهورة وهي إحدى مجمرات الشعر العربي :

أتعرف رسم الدار من أم معبد	نعم ورماك الشوق قبل التجلد
ظلمت بها أسفي (١) الغرام كأنما	سقتني الندامى شربة لم تصرد
فيالك من شوق وطائف عبدة	كست جيب سربالى إلى غير مسعد
وعاذلة هبت بليلى تلومنى	فلما غلت في اللوم قلت لها اقصدى

أعاذل إن اللوم في غير كنهه (١) علي ثنى من غيك المتردد
 أعاذل إن الجهل من لذة الفتى وإن المنايا للرجال بهرصد
 أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه إذا لم يسدد
 أعاذل من تكتب له النار يلقها كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد
 ذريتي فاني إنمى إلى ما مضى أمامي من مالى إذا خف عودى
 وحت (٢) لميقاتي إلى منيتي وغودرت قد وسدت أولم أوسد
 أعاذل من لا يصلح النفس خاليا عن الحى لا يرشد لقول المفسد
 كفى زاجراً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدى
 بليت وأبليت الرجال وأصبحت سنون طوال قد أنت دون مولدي
 فلا أنا بدع من حوادث تعترى رجالا عرت من مثل بؤسى وأسعد
 فنفسك فاحفظها عن الغى والردى متى تغوها يغو الذى بك يقتدى
 وإن كانت النعماء عندك لا مريم فثلاً (٣) بها واجز المطالب وازدد
 إذا ما امرؤ لم يرج منك مودة فلا ترجها منه ولا دفع مشهد
 عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
 إذا أنت طالبت الرجال نواهم فعف ولا تأتى بجهد فتكد
 ستدرك من ذى الفحش حقه كله بحملك فى رفق ولما تشدد
 ولا تلج إلا من ألام ولا تلم وبالبذل من شكوى صديقك فافتد
 عسى سائل ذو حاجة إن منعه من اليوم سؤلاً أن يبسر فى غد
 ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه يغلب عليه ذو النصير ويضهد (٤)
 وفى كثرة الأيدي عن الظلم زاجر إذا حضرت أيدى الرجال بمشهد (٥)
 وللأمر ذو الميسور خير مغبة من الأمر ذو المعسورة المتردد

سأ كسب مجداً أو تقوم نوايح على بلبل نادباتي وعودي
 ينحن على ميت وأعلن رثة تورق عيني كل باك ومسعد
 وقال للنعمان المنتصر على لسان شجرة نزل معه في ظلماء ، وكان هذا فيما
 يقال سبب تنصره :

من رأنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال
 فصروف الدهر لا تبقى لها ولما تأتي به صم الجبال
 رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
 والاباريق عليها قدم (١) وجياد الخيل تجري في الجلال
 عمروا الدهر بعيش حسن قطعوا دهرهم غير عجال
 عصف الدهر بهم فأنقروا وكذاك الدهر حالا بعد حال
 ثم قال له على لسان مقبرة مرا بها :

أيها الركب المخبون علي الأرض المجدونا
 كما أنتم كذا كنا كما نحن تكونونا
 وقال في الحكم أيضاً :

طال ليلى أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا
 شط وصل الذي تريد مني وصغير الأمور يحني الكبير
 إن للدهر صولة فاحذرنا لا تبتن قد أمنت الدهورا
 قديبات الفتى صحيحاً فيردى ولقد بات آمناً مسرورا
 لا أرى الموت يسبق الموت شيء نفص الموت ذا الغنى والفقيرا
 للنيا مع الغد ورواح كل يوم ترى لمن عقيرا
 كم ترى اليوم من صحيح تمنى وغدا حشو ريطة مقبورا

(١) جمع فدام وهو المصفاة

أين أين الفرار بما سيأتي لا أرى طائراً نجاة أن يطيرا
فامش قصداً إذا مشيت وأبصر إن للقصص منها وجسورا
إن في القصص لابن آدم خيراً وسبيلاً على الضعيف يسيراً

مختارات من شعره القصصي

قال في نظم قصة الزباء مع جذيمة وقصير :

ألا يأيها المثري المرجي ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقة (١) الامراء يوما جذيمة ينتحى عصبا (٢) تديننا
فطاوع أمرهم وعصى قصيرا وكان يقول لو تبع اليقيننا
ودست في صحيفتها اليه ليملك بضعها ولا أن تديننا
فأردته ورغب النفس يردى ويبدى للفتى الحين المييننا
وخبرت العصا (٣) الانباء عنه ولم أر مثل فارسها هجيننا
وقددت الاديم لراشهيه (٤) وألفى قولها كذبا وميننا
ومن حذر الملاوم والمخازى وهن المنذبات لمن منيننا
أطف (٥) لانه المومى قصير ليجدعه وكان به ضنيننا
فأهواه لما رنه فأضحى طلاب الوتر مجدوعا مشيننا
وصادفت امرأ لم تخش منه غوائله وما أمنت أميننا
فلما ارتد منها ارتد صلبا تجر المال والصدر الضغينا
أنتها العيس تحمل ما دهاها وقع في المسوح (٦) الدارعينا

- (١) موضع قريب من الحيرة (٢) عمامته متبنة بالزعفران وكانت العمامة
الحمر لسادة العرب (٣) فرس جذيمة (٤) عرقان في باطن الذراعين (٥) أهوى
(٦) أكسية من شعر

ودس لها على الاتفاق عمراً بشكته وما خشيت كميناً
 فجلبها قديم الأثر غضباً يصك به الحواجب والجبيناً
 فأضحت من خزائنها كأن لم تكن زباء حاملة جنيناً
 وأبرزها الحوادث والمنايا وأي معمر لا يتليناً
 إذا أمهان ذا جد عظيم عطفن له ولو فرطن حيناً
 ولم أجد الفتى يلمو بشيء ولو أثرى ولو ولد البنينا
 وقال في قصة سيف بن ذي يزن وقصة الحضر وصاحبه الضيزن
 لم أر مثل الفتيان في غبن (١) إل أيام ينسون ما عواقبها
 ينسون إخوانهم ومصرعهم وكيف تعتاقهم مخالبها
 ماذا ترجى النفوس من طلب إل خير وحب الحياة كاربها
 تظن أن لن يصيبها عنت إل هر وريب المنون صائبها
 ما بعد صنعاء كان يعمرها ولالة ملك جزل مواهبها
 محفوفة بالجبال دون عرى إل كائد ما ترتقى غواربها
 ساقط إليها الأسباب جندبني إل أحرار فرسانها مواكبها
 وفوزت بالغال توسق بال محتف وتسعى بها توالبها (٢)
 حتى رآها الأقوال (٣) من طرف إل منقل مخضرة كتائبها
 يوم ينادون آل بربر وإل يكسوم (٤) لا يفلتن هاربها
 فكان يوم باقي الحديث وزا لت أمة ثابت مراتبها

والحضر صبت عليه داهية من فوقه أيد (٥) منا كبها

(١) خدعها (٢) التولب ولد الثعلب (٣) ملوك حمير (٤) الحبشة

(٥) قوى

ربية (١) لم توق والدھا إذ أضاع راقبھا
 إذ غبته صباء صافية والخمر وهل (٢) يهيم شاربھا
 وأسست أهلها بليتها تظن أن الرئيس (٣) خاطبھا
 في ليلة لا يرى بها أحد يحكي عليها إلا كواكبھا
 فكان حظ العروس إذ جشرا صبح دماء تجرى سبائھا
 وخرب الحضر واستبيح وقد أحرق في خدرھا مشاجبھا
 وقال في نظم قصة مبدأ الخلق من التوراة

اسمع حديثا لکی يوما تجاوبه عن ظهر غيب إذا ما سائل سأل
 أن كيف أبدى إله الخلق نعمته فینا وعرفنا آیاته الا ولا
 كانت رياحا وماء ذعرانية (٤) وظلمة لم يدع فتقا ولا خلا
 فأمر الظلمة السوداء فأنکشف وعزل الماء عما كان قد شغلا
 وبسط الارض بسطاً ثم قدرھا تحت السماء سواء مثل ما فعلا
 وجعل الشمس مصرا (٥) لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
 قضی لسته أيام خلأ ثقه وكان آخر شئ صور الرجال
 ثم أورثه الفردوس بعمرها وزوجة صنعة من ضلعه جملا
 لم ينه ربه عن غير واحدة من شجر طيب إن شم أو أکلا
 فعمدا التي من أكلها نهيا بأمر حواء لم تأخذله الدغلا
 كلاهما خاط إذ بر لبوسهما من ورق التين ثوبا لم يكن غزلا
 فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت كما ترى ناقة في الخلق أو جملا (٦)

(١) یعنی ابنة الضیض التي خانت والدھا (٢) من وهل إلى الشئ ذهب إليه
 موهمه وهو يريد غيره (٣) سابور (٤) العرانية مد السيل (٥) المصر الحاجز
 بين الشیثین (٦) هذا من مزاعم العرب في أصل الحية

فلاطها الله إذ أغوت خليفته طول الليالى لم يجعل لها أجلا
تمشى على بطنها فى الدهر ما عمرت والترب تأكله حزنا وإن سهلا
فأتعبا أبوانا فى حياتهما ووجد الجوع والاصاب والعلا
وقال فى تجربة إبليس لحواء وعقاب الحية :

سعى الرجيم إلى حواء بسوسة غوت بها وغوى معها أبو البشر
خلقنا من مارج أنشا خليفته وآخر من تراب الارض والمدر
أنشاهما ليطيعاه فخالفه إبليس عن أمره للحين والقدر
فأبلس الله إبليس وأسكنه (١) دارا من الخلد بين الروض والشجر
فاغتاظ إبليس من بغي ومن حسد فاحتال للحية الرقطاء والطيور (٢)
فأدخله بأيمان مؤكدة أعطاها يمين كاذب غدر
هناك سار إلى حواء بسوسة أردت بغراتها معها أبا البشر
فاهبطوا من معاصيهم وكلمهم نأى المحل فقيد العين والاثر
وأهبط الله إبليس وأوعده نارا تلهب بالاسعار والشرر
وأنزل الله للطاوس رنخته (٣) من صوته ورمى رجله بالنكر
وأعقب الحية الحسناء حين عفت مسح القوائم بعد السعى كالبقرة
وأعقب الله حواء بالذى فعلت بالطمث والطلاق والاحزان والفكر

(١) الضمير للانسان (٢) يريد الطاوس (٣) ضعف صوته

مختارات من شعره في سجنه

في الاعتذار ونحوه

قال يعاتب النعمان ويعتذر اليه :

أرقت لمكفر (١) بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب
سعى الاعداء لا يألون شرا عليك ورب مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدي ليسجن أو يدهده في القلب (٢)
وكنت لراز خصمك لم أعرد (٣) وقد سلكوك في يوم عصب
ففتزت عليهم لما التقينا بتاجك فوزه القـدح الاريب
وما دهرى (٤) بأن كدرت فضلا ولكن مالقيت من العجيب
فان أخطأت أو أوهمت أمرا فقد يهم المصافي بالحبيب
وإن أظلم فقد عاقبتموني وإن أظلم فذلك من نصيبي
وإن أهلك تجد فقدي وتخزل إذا التقت العوالي في الحروب
فهل لك أن تدارك مالدينا ولا تغلب على الرأي المصيب
فاني قد وكلت اليوم أمرى إلى رب قريب مستجيب

وقال في ذلك أيضا :

أبلغ النعمان عني مألكا أننى قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء خلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى
وعداى شمت أعجبهم أننى غيت عنهم فى إسرائى
ليت شعرى عن دخيل يفترى حيثما أدرك ليلي ونهارى

(١) سحاب مكفر مظلم (٢) البئر (٣) أهرب (٤) عادى

لامري لم يبل مني سقطة إن أصابته ملهات العثار
 قاعدا يكرب نفسي بثها وحراما كان سجنى واحتصارى
 نحن (١) كنا قد علمتم قبلكم عهد البيت وأوتاد الاصار
 وأبوك المرء لم يشأ به يوم سيم الخسف مناذو (٢) الخسار
 أجل (٣) نعمى ربها أولكم ودنوى كان منكم واصطهارى
 أجل إن الله قد فضلكم فوق من أحكأ (٤) صلبا بازار
 وقال أيضا في ذلك وقد زارته أمه في سجنه ولا بن زيدون قصيدة (٥)
 في هذا الموضوع عينه يقلد فيها عديا في زيارة أمه له في سجنه :

ليس شيء على المنسجون بياقي غير وجه المسيح الخلاق
 إن نكس آمنين فاجأنا شر من مصيب ذا الود والاشفاق
 فبرئ صدري من الظلم للرب - وحنث بمعقد الميثاق
 ولقد ساءنى زيارة ذى قر بي حبيب لو دنا مشتاق
 ساء ما بنا تبين فى الالبى دي وإشفاقها الى الاعناق
 فاذهبى يا أميم غير بعيد لا يأتى العناق من فى الوثاق
 واذهبى يا أميم إن يشاء الله ينفس من أزم هذا الخناق
 أو تكن وجهه فتلك سبيل الناس لا تمنع الختوف الرواق

يا أبا مسهر فأبلغ رسولا إخوتى إن آتيت صحن العراق

(١) يعنى ما كان من تولية أيه زيد على الحيرة (٢) نائب فاعل يشأ
 يعنى بذلك منع المنذر أهل الحيرة من أخذ مال زيد عند موته وهو بالشام
 (٣) يعنى من أجل ذلك (٤) شد (٥) مطلعها :
 ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل

أبلغنا عامرا وأبلغ اخاه أننى موثق شديد وثاقى
 فى حديد القسطاس يرقبني الحامرس والمرء كل شيء يلاقى
 فاركبوا فى الحرام (١) فكوا أخاكم إن عيرا (٢) قد جهزت لانطلاق
 وقال أيضا يذكره :

أرواح مودع أم بكور لك فاعمد لأمى حال تصير
 ويقول العداة أودى عدى وعدى بسخط رب أسير
 أيها الشامت المعير بالذه ر أأنت المبرأ الموفور
 أم لديك العهد الوثيق من الأيب سام بل أنت جاهل مغرور
 إن يصبني بعض الهنات فلا وان ضعيف ولا أكب عثور
 من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
 أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور
 وبنو الأصفر الكرام ملوك الر وم لم يبق منهم مذكور
 وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير
 سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
 فارعوى قلبه فقال وما غبه طة حي إلى الملمات يصير
 ثم بعد الفلاح والملك والام ت وارتهم هناك القبور
 ثم صاروا كأنهم ورق جف ت فألوت به الصبا (٣) والدبور

(١) يعنى فى الشهر الحرام (٢) قافلة (٣) الريح الشرقية والغربية

مختارات من شعره

في

فنون الشعر المعروفة

قال في التغزل والخمر:

بكر العازلون في وضح الصبح يقولون لي ألا تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق
لست أدري إذا كثروا العذل عندي أعود يلومني أم صديق
زأنها حسنها وفرع عميم وأثيث (١) صلت الجبين أنيق
وثنايا مفراجات عذاب لا قصار ترى ولا هن روق (٢)
ودعوا بالصباح يوما فجاءت قينة في يمينها إريق
قدمته على عقار كعين الديك صني سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفت فوقها فقايق كاليسا قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب غير ما آجن ولا مطروق
وقال في ذلك أيضا:

أبلغ خليلي عند هند فلا زلت قريبا من سواد الخصوص (٣)
موازي القرّة أو دونها غير بعيد من عمير اللصوص
أنك ذو عهد وذو مصدق يخالف عهد الكذوب اللصوص
تأكل ماشئت وتعتلها خمر من الخوص كلون الفصوص
ينفخ من أردانك المسك والهندي والغار ولبنى (٤) قفوص

(١) وجه أثيث عظيم وصلت واضح (٢) طويلة (٣) هو وما بعده.

أسماء مواضع بالعراق (٤) شجرة لها عسل

تقنصك الخيل وتصطادك الـ طيرولا تنكع (١) لهو القنيص
 يانفس أبقى واتقى شتم ذى الاعراض فى غير نوص
 قد يدرك المبطل من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص
 وقال من قصيدة له طويلة فى المدح :

ماذا ترجون ان أودى ربيعكم بعد الاله ومن أزكى لكم نارا
 كلا يمينا بذات الورع لو حدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا (٢)
 بتل جحوش (٣) ما يدعومؤذنه لا مر دهر ولا يحتث أنفارا

وأحور العين مربوب له غسن (٤) مقلد من نظام الدر تقصارا
 عف المكاسب ما تكدى حسافته (٥) كالبحر يقذف بالتيار تيارا
 وذى تناوير معون له صبح يغزو أوارد قدأفلين (٦) أمهارة
 كأن ريقه شؤبوب غادية لما تقفى رقيب النفع مسطارا
 ولا تحل نبى (٧) البشر قبته تسومه الروم ان تعطوه قنطارا
 فأيسكم لم ينله عرف نائله دثراسواما وفى الارياف أوصارا
 وقال من قصيدة فى وصف فرس :

مضمم أطراف العظام محنيا يهزهز غصنا ذا ذوائب مائعا (٨)
 أجال عليه بالقناة غلامنا فأذرعنه لحلة الشاة راقعا (٩)
 فضاف يعرى جله عن سراته يبذ الجياد فارها متتابعا
 فأض كصدر الرمح نهдамصدرا يكف فكف منه خنزوانا منازعا

(١) ولا تمنع (٢) إسم موضع (٣) بلد بالجزيرة (٤) الغسنة خصلة
 الشعر (٥) قليله (٦) عزلن عن الرضاع (٧) إسم موضع (٨) ماعت ناصية
 الفرس سالت (٩) رقت خلة الفرس أدركته فطعنته

وقال في وصف نوقه :

من يكن ذا القمح راخيات فلقاحي ما تذوق الشعيرا
بل حواب في ظلال فسيل ملئت أجواقهن عصيرا
فتهاذن كذاك زمانا ثم موتن فكن قبورا
وقال وقد دعا النعمان ليتغدى عنده فتغدى عند ابن مرينا ثم ذهب إليه
ولا فضل عنده فأحفظه ذلك :

أحسبت مجلسنا وحسن حديثنا يودى بمالك
فالمال والاهلون مصرعة لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمرك في يمينك أو شمالك
وقال في الهجاء :

زئيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع
وقال يهجو تميا :

تزود من الشبعان (١) خلفك نظرة فان بلاد الجوع حيث تميم

منزلة عدى في الشعر

(١) مأخذه عندهم

في الفاظه ومعانيه : قد أخذ جمهور علماء الادب على عدى الفاظه
الحيرية من جهة لينها ورقتها وعدم خلوص عربيتها بما كان يدخلها من
لغات الوفود التي تفد على ملوك الحيرة ، فسقطت بهذا منزلة عندهم ، وجعلوه

(١) اسم موضع

في الشعراء مثل سهيل في النجوم ، ومنهم من قال مثل الشعري فيها ، تعارضها ولا تجرى معها ، وقد سئل الأصمعي عنه أوجل هو ؟ فقال : ليس بفجل ولا أثى ، وذكر ابن قتيبة أن العلماء لا يرون شعره حجة

ولا شك أن سهولة اللفظ بالفه ، وعدم سهواته بعدم إلفه ، وذلك من الأمور التي لا ترجع إلى اللفظ في ذاته ، ولا يصح أن يؤخذ بها فيه ، ورب لفظ مألوف عند قوم غير مألوف عند آخرين ، فلو كان ذلك يوجب شيئا فيه لآدى فيه إلى وجهتين مختلفتين ، واعتبارين متناقضين ، وقد كانت الألفاظ البدوية غير مألوفة لأهل الحضرة لبعدهم عن أهلها ، فتأثر بهذا فيها أولئك العلماء وجعلوها هي الألفاظ الفحلة الفخمة ، وجني على الألفاظ الحضرية عندهم إلفهم لها ، ونشأنهم بين أهلها ، مع أن الألفاظ البدوية مألوفة لأهلها كما أن الألفاظ الحضرية مألوفة لأهلها ، وقد تكون الألفاظ الحضرية أعذب منطقا ؛ وأجل صوتا ، وأخف سمعا ، وأما ألفاظ تلك الوفود فلا شيء في استعمالها بعد صقلها ، وإلحاقها بأوزان العربية ومقاييسها ، خصوصا إذا لم يكن لها نظائر ولا أشباه في العربية تخفي عنها ، وتسد مسدها ، ورب كلمة أعجمية تكون بعد تعريبها أحسن لفظا من مرادفها العربي ، وأجمل منه حروفا ، وأحق منه استعمالا ، وقد أخذ العرب من لغات غيرهم ألفاظا لها مرادفها في لغتهم ، ولم يقتصروا في التعريب على ما لا مرادف له عندهم ، مثل التأمورة والابريق ، والناطس والجاوس ، ثم استعملوا في كلامهم هذا وذلك ، (١) وربما كانت الكلمة الأعجمية أكثر استعمالا من مرادفها العربية (٢)

(١) وهذا كما قال امرؤ القيس :

ولمني زعيم إن رجعت ملكا بسير ترى منه الفرائق أزورا

والفرائق الأسد تعريب بروائك (٢) انظر الصفحة التالية

الفاظ أعجمية

أخف من نظائرها العربية أو أكثر استعمالاً منها

اللفظ الأعجمي	اللفظ العربي
بَحْر	البحر
مَشْكَاةٌ	كُوةٌ غير نافذة
بِنَّةٌ	البنة كلمة انجليزية تطاق على القلم المعروف والمذلول الحديدية يكتب بها في ألواح الدفتر
نَوْتَةٌ	النوطة كلمة فرنجية يرادفها من العربية كُنَاشَة ويراد منهما أوراق تبجل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط
زَلَطٌ	الزلط كلمة عامية والدملوق والدماق والدمائق
نُوتٌ	النوت كلمة أعجمية عربها العرب واستعملوها ويسمى النوت عندهم الفرصاد

فاللفظ لا يعاب عندى إلا من جهة ثقله وتنافر حروفه ، لأن هذا يرجع إلى أمر يتعلق بذاته ، أما غرابته ووضوحه ، وعريته وأعجميته ، فلا يعاب عليه بشئ من جهتها ، بل يجب أن تؤثر الغريب على غيره إذا كانت حروفه أجمل من حروفه ، وغرابته ليست إلا عرضا طارئا عليه يزول بكثرة استعماله ، كما يجب أن تؤثر الأعجمى على العربى إذا كان أجمل منه فى ذلك ، وأن ندع ذلك التعصب للعربية إلى الحد الذى يعوقنا عن السير بها فى طريق الكمال ، فلا يصح أن نكون أشد تعصبا لها من أهلها ، وأن نضرها بذلك ضرر الصديق الجاهل لصديقه

ومع أن عدوا قد بلغ تعصبهم عليه إلى حد إسقاطهم الاحتجاج بشعره ، فلا تجد لهم فى أشعاره من المأخذ مثل غيره من الشعراء الذين يحتج بشعرهم عندهم ، وما أخذوه عليه السناد فى قوله :

وقد دت الأديم لراشهيه وألنى قولها كذبا ومينا
فان قافية القصيدة على النون والياء المكسور ما قبلها ، والياء هنا مفتوح ما قبلها ، وقد جعلوا فى البيت أيضا ذكر المين بعد الكذب تطويلا ، ورواية المفضل كذبا مبينا ، ولا تطويل فيها ولا سناد ، ولكن الرواية الصحيحة هى الأولى

وعدوا أيضا قوله :

ولقد عدت دوسرة كعلاة القين مذكارا
فى الأبيات التى قصر فيها أصحابها عن الغايات التى أجروا إليها ، ولم يسدوا الخلل الواقع فيها معنى ولا لفظا ، لأن المذكار التى تلد الذكران والمثنائ عندهم أحمد ، وقد أراد مذكرة فلم يتفق له
وقال عدي أيضا :

لأرى الموت يسبق الموت شئ. نغص الموت ذا الغنى والفقيرا
 فاستشهد به سيبويه على إعادة الظاهر موضع المضمحل ، وفيه قبح إذا كان
 تكريره في جملة واحدة ، لأنه يستغنى بعضها عن بعض ، فلا يكاد يجوز
 ذلك إلا في ضرورة ، وقد خالف المبرد سيبويه في ذلك لأن الموت اسم
 جنس ، وإنما كره زيد قام زيد لثلاث يتوهم أن الثاني خلاف الأول ، وهذا
 لا يتوهم في الاجناس ، قال تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت
 الأرض أنفاقها) وإنى أرى أن المعارف إذا تكررت فلا محل لتوهم أن الثاني
 فيها خلاف الأول ، ولا فرق فيها بين الاجناس وغيرها ، وإنما القبح في ذلك
 لقبح التكرار في ذاته ، والارض مكررة في جملتين بل في آيتين فلا قبح في تكرارها
 وبما أخذ عليه قوله في صفة الفرس :

فضاف يعرى جله عن سرائه يسد الجياد فارها متتابعاً
 ولا يقال للفرس فاره ، وإنما يقال له جواد وعتيق ، ويقال للكوذن
 والبغل والحمار فاره
 ومثل هذا أيضاً وصفه الخمر بالحضرة ولا يعلم أحد وصفها بذلك ، وهذا
 في قوله :

والمشرف الهندى يسقى به أخضر مطموثاً بماء الجريض
تكراره في ألفاظه ومعانيه : ويمكن أن يؤخذ على عدى أيضاً ما حصل
 في بعض شعره من تكرار في ألفاظه ومعانيه ، ولكن هذا قليل في شعره ،
 ولا يبلغ ما يبلغ امرؤ القيس فيه ، ومن أمثلة ما جاء في شعره من ذلك :
 ألا من مبلغ النعمان عني علانية فقد ذهب السرار
 ألا من مبلغ النعمان عني فيينا المرء أغرب إذ أراحا
 ألا من مبلغ النعمان عني وقد تهوى النصيحة بالمغيب

أبلغ النعمان عني مألكا أنني قد طال حبسى وانتظاري
أبلغ النعمان عني مألكا قول من قد خاف ظنا فاعتذر

وتقول العداة أودى عدي وبتوه قد أيقنوا بعلاق
ويقول العداة أودى عدي وعدي بسخط رب أسير

(٢) محاسنه عند بعضهم

وقد كان قليل من الناس ينتصر لعدي بازاء تعصب جمهور علماء الادب
عليه ، ومن ذلك القليل من كان ينتصر له من أجل عصبية النسب ، روى ابن
الكلبي أن من بنى تميم من يقول بتقديم عدي على غيره من الشعراء ، وأنشد
الحارث بن بدر الغداني :

والشعر كان مبيته ومظله عند العبادي الذي لا يجهل

وقال حماد : أدركت رجالا من بني تميم لا يفضلون على عدي في الشعر

أحدا

ومن ذلك القليل من كان ينتصر له انتصاراً مطلقاً لا يذكر فيه وجه
تقديمه على غيره ، ولا سبب انتصاره له ، وكان إياس النصري يقول : أشعر العرب
أبو دواد الايادي (١) وعدي بن زيد ، وأبو دواد يشارك عدياً في الجهة
التي تعصب عليه جمهور علماء الادب من أجلها ، فلعلها هي الجهة التي انتصر
إياس لها بها

(١) ومن كان يتعصب لإبي دواد وحده أبو الاسود الدؤلي العالم

الشاعر المشهور

وقال محمد بن الحجاج قلت لابن منذر من أشعر الناس ؟ قال من كنت
في شعره ، فقلت له على ذاك ، فقال عدى بن زيد ، وكان محمد بن منذر ينحو
في شعره نحوه ، ويقدمه ويتخذة إماما له ، وروى حماد الارقط أن ابن منذر
القي بهمكة فأنشده قصيدته :

كل حي لاقى الحمام فود مالحي مؤمل من خلود

ثم قال له : أقرىء أبا عبيدة السلام ، وقل له يقول لك ابن منذر اتق الله
واحكم بين شعري وشعر عدى بن زيد ، ولا تقل ذلك جاهلي وهذا إسلامي
وذاك قديم وهذا محدث ، فتحكم بين العصرين ، ولكن احكم بين الشعرين ، ودع
العصبية .

وقال أبو الشبل البرجمي : ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عدى
ابن زيد ، وهو في هذا يرى أن شعر عدى في حبسه قد بلغ من الجودة بحيث
يقاس في ذلك عليه غيره ، ويجعل من فضله أن يبلغ مرتبته
وكان يونس يعجب بقصيدة عدى :

أرواح مودع أم بكور لك فاعلم لآي حال تصير

وكان يقول لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذه أو مثل هذه
ومما يستجاد لعدى قوله :

وصحيح أضحي يعود مريضاً وهو أدنى للبوت ممن يعود
وقد أخذه منه علي بن الجهم وأحسن فيه فقال :

كم من عليل قد تخطاه الردى فنجا ومات طيبه والعواد
وقال محمود الوراق :

وكم من مريض نعاه الطبيب إلى نفسه وتولي كشيأ
فما الطبيب وعاش المريض فأضحي إلى الناس ينعي الطبيبأ

فأساء فيه لأنه إن كان أخذه من علي وجاء به في بيتين ومضغه وصيره قصصا بقوله « أضحي ينعاى إلى الناس » فقد أخطأ ، وإن كان علي أخذه منه فقد جاء في بيت واحد وأحسن فصار أحق بالمعنى منه

وإذا كانت المآخذ التي أخذوها على عدى لا تقتضى تأخيرها في الاطلاق على غيره ، فكذلك شأن هذه المحاسن لا تقتضى تقديمها في الاطلاق على غيره ، لانها ترجع إلى أمور جزئية لا تقتضى هذا الاطلاق في التأخير أو التقديم ، ولا توجب تقديم شاعر على آخر أو تأخير عنه من سائر نواحيه

الموازنة بين الشعاعين

(١) في سيرتهما

ما يتفقان فيه : يتفق امرؤ القيس مع عدى في أنهما كانا شاعرين نشا في بيته ملك وإمارة ، فامرؤ القيس كان أبوه ملكا ، وعدى كان أبوه عند كسرى في منزلة الملوك المتأذرة ، وقد ولاه أهل الحيرة عليهم بعد موت بعض ملوك المتأذرة إلى أن ولي كسرى بدله

ويتفقان أيضا في أنهما لم يتجرا بشعرهما كما اتجربه غيرهما ، وكان الاتجار بالشعر نادرا في عهدهما ، ولم يكن يقول الشعر في هذا العهد إلا ذوو المكانة من الملوك والامراء وعظماء العرب وحكمائهم ، فكانوا يربثون بأنفسهم عن الاتجار به ، ولم يقصد به الملوك للاستفادة إلا قليل منهم ، مثل طرفة والمتلمس حينما قصدا عمرو بن هند ، وكانا ينادمانه وبأخذان من صلاته ، ومع هذا كانا لا يشعران بنقص في أنفسهما عنه ، وكانا يغضبان أيا منه استخفافا بهما ويهجوانه

ما يختلفان فيه : يمتاز عدى على امرئ القيس من جهات كثيرة ، منها أن
عديا تنقلب في أحضان الحضارة بالحيرة والمدائن في صغره وكبره ، أما امرؤ القيس
فنشأ بالبادية في ظل ملك بدوى فيه خشونة وترف ، وشدة ولين ، ومنها
أن عديا أخذ بتربية مدرسية جمع فيها بين ثقافات العرب والفرس والروم ،
أما امرؤ القيس فكان شأنه مثل شأن سائر أبناء البادية إذ يتركون لسلقتهم
وفطرتهم ، ومنها أن عديا كان له دين نشأ عليه ، واحتفظ به إلى آخر حياته ،
فكان له أثره في استقامته ، كما كان لبيئته في بيته واتصاله بالاكاسرة والمناذرة
أثرها في ذلك أيضا ، أما امرؤ القيس فلم يكن للدين أثر في نفسه ، وقد قضى
شبابه بين صعاليك العرب وذؤبانهم ، فتأثر ببيئتهم ، واكتسب كثير من ذائلهم ،
ولم تكن بيئته الملكية تمتاز إلا قليلا عن هذه البيئة ، لان الفرق بين طبقات
الناس لا يكاد يذكر في البادية ، ومنها أن عيشة عدى كانت هادئة ساكنة ،
في ظل ملكين ثابتين مستقرين ، ملك المناذرة بالحيرة ، وملك الاكاسرة
بالمدائن ، أما امرؤ القيس فانه لم يره دوما في حياته ، فقد قضى شبابه في
غاراته الآثمة مع صعاليك وذؤبانه ، وعيشته اللاهية الفاجرة بينهم ؛ وكان
ملك آبائه في عهده مضطربا تهب عليه الاغصير السياسية من كل ناحية ،
وتكاد تقتلع جذوره من قلب البادية ، فلم يفق من غفلته في شبابه إلا ليلقي
بنفسه في حروب توقعة في اضطراب أشد مما كان فيه ، ويلقى فيها ما يلقي
حتى تقضى عليه

فاذا كان لحياة الشاعر أثرها في شعره وأخذها به إلى أغراض نافعة في
الحياة أو غير نافعة ، وألفاظ ومعان جميلة أو غير جميلة ، فان حياة عدى
أجدر بأن ترجحه في ذلك على امرئ القيس ، وتخلع على شعره استقامة من
استقامتها ، وجمالا من مظاهر الجمال التي كانت تحيط بها من كل ناحية ، وتبعد

به عن وحشة البداوة وخشونتها ، وتجهمها وغموضها ، والجمال أظهر ما يكون
في الحضر ، إذ تعمل فيه يد الانسان والطبيعة معا ، أما البدو فليس فيه إلا
جمال الطبيعة وحدها ، ومظاهر الطبيعة لا تكون دائما جميلة ، خصوصا في
تلك البوادي الموحشة ، والصحارى المقفرة

(٢) في شعريهما

أغراضهما الشعرية : إذا وازنا بين امرى القيس وعدي في أغراضهما الشعرية
تجد عديا يمتاز على امرى القيس في ذلك امتيازا ظاهرا ، فعدي ينظر في شعره
إلى الكون بأسره ، ويؤدى به رسالة عامة في الحياة ، فهو فيه الحكيم الناصح
الصادق النصيحة للانسانية عامة ، والقاص البارع الذى يجيد سبك القصة
ويعرف كيف يستخلص منها الموعظة الحسنة ، والحكمة العجيبة ، وكم رد
بذلك ملوكا عن طغيانها ، وهدى نفوسا إلى رشادها ، حتى ترك لنا في هذا
شعرا خالدا تبلى الحياة ولا يبلى ، وتظهر عليها آثار القدم وهو لا يزال جديدا ،
لأنه لم يكن ينظر فيه إلى عصره وحده ، بل كان ينظر فيه إلى كل العصور ،
ويراعي فيه سائر الازمنة ، حتى يكون مناسبا لكل زمن ، ومقبولا عند
كل أمة من الامم ، فاذا أراد يوما أن يستخدم شعره في خاصة نفسه غلبت
عليه نزعته هذه في شعره ، وأبى إلا أن يجاوزها به ، ويمضى من ذلك في حكم
متصلة ، أو قصص لها ارتباط بموضوعه ، وهذا كما كان يفعل في قصائده في
استعطاف النعمان بن المنذر حينما زج به في سجنه ، فكان كثيرا ما ينسى
فيها أمر نفسه ، ويمضى في القصص أو نحوه مما كان يمضى فيه ، ويقصد إلى
وعظ النعمان بذلك وتذكره بأحوال السابقين ، والملوك الغابرين ، وهو ذلك
السجين الذى ينأى بمثله سجنه عن مقام الوعظ ، وتنسيه نفسه واجب

الارشاد ، وتصير به إلى وسائل أخرى قد تكون أقرب إلى خلاصه ،
وفك أساره

أما امرؤ القيس فكان لا يعرف في شعره إلا نفسه وشهواتها ، ولا
يعرف في الدنيا شيئا سواها ، ولا تحدثه نفسه بأن عليه في شعره رسالة
يؤديها للناس ، وواجبا مفروضا عليه الله والخلق ، حتى إنه بعد أن قتل
أبوه وأيقظته الأيام من غفلته لم يترك أمر نفسه في شعره ، بل انتقل به
من شهواتها إلى الشكوى مما أصابها ؛ واستخدمه في أغراض أخرى خاصة
بها ؛ من مدح بعض الناس إذا ساعدوه في طلب ثأر أبيه ، وهجوم إذا قعدوا
عن مساعدته فيه ، فلم ينس نفسه في الحالتين ، ولم يجاوز بشعره تلك
الحدود الضيقة

ويمتاز عدى أيضا بأن أغراضه من شعره كانت إلا في النادر منها تتعلق
بجد الحياة دون هوها وعبثها ، فاذا عبث به عبث في اقتصاد ، ولم يجاوز
حد الاعتدال ، ولم يأت بما يؤخذ عليه في دينه أو مروءته ، أو يكون قدوة
سيئة للناس في الأخذ بالرديلة ، وإعلانها بين الناس في الشعر ، وكان امرؤ
القيس على خلافه في هذا كله ، فقد أسرف في شعره إسرافا صار به زعيم
طائفته من أولئك الشعراء الخلاء ، واستحق به لقب الملك الضليل عليهم ،
وقد روى أنه خرج وفد من جهينة يريدون النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما
قدموا عليه سألهم عن مسيرهم ، فقالوا يا رسول الله لولا بيتان قالهما امرؤ
القيس لهلكنا ، قال وما ذلك ؟ قالوا خرجنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق
إذا برجل على ناقة له مقبل إلينا ، فنظر إليه بعض القوم فأعجبه سير الناقة
فتمثل بيتين لامرئ القيس ، وهما قوله

ولما رأت أن الشريعة وردها وأن البياض من فرائصها دامي

تيممت العين التي جنب ضارج بني عليها الظل عر مضها الطامى
وقد كان ماؤنا نقد ، فاستدلنا على العين بهذين البيتين فوردناها .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إني لو أدركته لنفعته ، وكأني أنظر إلى
صفرة وبياض إبطينه وحموشة ساقيه في يده لواء الشعراء يتدهدى
بهم في النار

ويمتاز عدى أيضا في ذلك بأنه كان يعنى بترتيب قصائده وتأليفها ،
وسوقها في الغرض الذى تقال فيه ، فيتكون من قصيدته وحدة مرتبة
الاجزاء ، ملتزمة السياق ، متحدة الغرض ، وامرؤ القيس كان يحاول أن يجمع
كل أغراضه الشعرية في كل قصيدة من قصائده ، وهى فى هذا كأنها كلها
قصيدة واحدة ، كان لا يعنى فى قصيدته بترتيب أجزائها ، ولا بوضع أبياتها
فى مواضعها التى لا يصح تقديمها عليها أو تأخيرها عنها

ألفاظهما ومعانيهما : وإذا وازنا بين امرئ القيس وعدى فى ألفاظهما
ومعانيهما الشعرية وجدنا أن كلا منهما يتأثر فى ذلك ببيئته التى نشأ فيها ،
فعدى من أبناء الحضر يمثل شعره فى الاجمال ألفاظ حضره ، وامرؤ القيس
من أبناء البادية يمثل شعره فى الاجمال ألفاظ باديته ، فإذا أردنا أن نجعلها
موازنة عامة بين ألفاظ أهل الحضر وألفاظ أهل البادية فألفاظ أهل الحضر تمثل
رقة طباعهم ، وجمال حضارتهم ، ولين معيشتهم ، وألفاظ أهل البادية تمثل
غلظ طباعهم ، وغموض بداوتهم ، وخشونة معيشتهم ، ولا شك أن ألفاظ
أهل الحضر فى ذلك أجمع لمعانى الجمال من ألفاظ أهل البادية ، وإن كانت
سهلة لينة ، وليست كالألفاظ البدوية غامضة شديدة ، ولا ريب بعد هذا
فى أن عدى من هذه الناحية أيضا يفضل امرأ القيس ، ولا فى أن ألفاظه فى
لونها ورقتها خير من ألفاظ امرئ القيس فى غموضها وشذتها ، وقد كان
عدى يسلك فى ذلك مسلكا متسقا منسجما ، أما امرؤ القيس فيخلط فى ذلك

خلطاً ظاهراً ، ويسير في طريق مضطرب فيه علو وانخفاض ، ووعورة وسهولة ، وغموض ووضوح ، فيفقد بذلك جمال التناسق ، ويحرم حسن الانسجام ، ويظهر في صورة مشوهة ، لا تناسب بين ألوانها ، ولا التئام بين أجزائها ، وقد أوقع امرأ القيس في ذلك ما كان في عيشه من لين وخشونة ، وأخذ به شيء من التنعم فيما كان يحيط به من مظاهر البداوة ، والذين يقدمون امرأ القيس بذلك ويؤخرون عديا برقة ألفاظه لإنهاهم قوم يزعمون أن الكلام الفصيح ما كان في ألفاظه عنجمية الغرابة ، وبعد عن اللفظة الاحاطة بمعناه ، وعز عن الافهام إدراكه ، وهذا كما قال صاحب كتاب الطراز (١) جهل بمحاسن الفصاحة وأوضاع البلاغة ، فانك ترى ألفاظ القرآن والسنة النبوية مع بلوغهما كل غاية من الفصاحة بحيث لا يدانيهما كلام في غاية البيان والظهور بالاضافة الى ألفاظهما ، وفي نهاية القرب بمعانيهما ، وقد وصف الله كتابه الكريم بأنه يسان وتبيان ، ولهذا فإنه لا يكاد يشكل من ألفاظ القرآن والسنة على أحد إلا من جهة التركيب لا غير ، فأما مفرداتهما ففي غاية الوضوح والبيان والظهور . وهذا يرجع عندي إلى أن القرآن في إجماله نزل بلغة أهل الحضر ، وهم قريش بمكة ، والاوز والخزرج بالمدينة ، ولم ينزل إلا قليل منه بلغة أهل البادية

فلا يصح بعد هذا أن يؤخذ على عدى سهولة شعره كما أخذها عليه الاصمعي وغيره ، ولا أن يكون لها تأثير في تأخير نزلته في الشعر كما أخروه بها ، حتى أسقط بعضهم الاحتجاج بشعره لعدم خلوص عربية بيئته ، فاذا سلمنا لهم أن هذا يؤثر في الاحتجاج بشعر عدى وأن يؤخذ في هذا (١) ج ١ ص ١١٥ من كتاب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم

حقائق الاعجاز

بذنب البيئة التي نشأ فيها ، فان ذلك لا يمكن أن يؤثر في شعره من جهة جمال لفظه ، وحسن معناه ، وما إلى هذا من وجوه جودته في ذاته ، بقطع النظر عن أنه يحتج به أولاً يحتج به ، فحسن الشعر في ذاته شيء والاحتجاج به شيء آخر ، والعربي الجلف يحتج بلغته لأنها سليقة له وان لم تصل إلى لغة الشعر في بلاغتها وفصاحتها ، فلا يصح أن يخلط بين ذنبك الامرين كما يفعل الاقدمون ، ولا أن يقدم الشعراء الذين يحتج بشعرهم في الاطلاق على غيرهم ، وكم من شاعر لا يحتج بشعره لأنه محدث أو نحو ذلك أقوى شاعرية ممن يحتج بشعره لأنه جاهل أو مخضرم أو إسلامي

ولما يفترق امرؤ القيس وعدى في ألفاظهما ومعانيهما من تلك الجهة يفترقان أيضاً فيها من جهة أن امرأ القيس يقصد في شعره إلى الصناعة ، ويكثر في كلامه من التشبيهات والاستعارات والمجازات والكنايات ، ويأتي في ذلك أحياناً بتشبيهات جميلة ، واستعارات رائعة ، وأخيلة لطيفة ، وتصورات بديعة ، أما عدى فيقتصد في ذلك ، ويؤثر في كلامه أن يأتي به جميلاً في ذاته ، عاطلاً من تزويق تلك التشبيهات والاستعارات ، ولا شك أن كلا منهما يمثل في ذلك بيئته أيضاً ، فامرؤ القيس في بيئته البدوية لا يرى في الزينة إلا أن تكون كثيرة الألوان ، مختلفة التصاوير ، كالبدوى في سذاجته تعجبه الثياب الملونة أكثر مما تعجبه الثياب الجيدة المتينة ، وعدى في بيئته الحضرية لا يعجبه في الزينة أن تكون كثيرة الألوان ، مختلفة التصاوير ، وإنما يعجبه فيها انسجامها واتساقها ، ومحاسنها الذاتية الناشئة عن جمالها في ذاتها ، لاعن صناعة أو نحوها فيها ، ولا ريب أن الالفاظ والمعاني الجميلة في ذاتها أتم جمالاً من المعاني التي تستفيد جمالها من التفنن في تشبيه أو استعارة ، لأنك إذا جردتها من التشبيه والاستعارة زال عنها جمالها ،

وبقيت وحدها ولا جمال لها ، ولهذا يجب أن يقتصد في الكلام من التشبيهات والاستعارات وما اليهما من الصناعات المعنوية واللفظية ، لئلا يتخذ ذلك وسيلة لستر ما وراءها من المعاني الاصلية التي لا يكون لها قيمة ، ولا تتضمن شيئا من الجمال الذاتي ، وهذا هو القرآن الكريم لا تجده أيضاً يسترف في تلك التشبيهات والاستعارات ، وانما يعتمد على قوة المعنى في ذاته ، وجماله في نفسه ، ثم يقصد بعد هذا في الفينة بعد الفينة إلى تلك الحلي الصناعية ، ويأتي كلما طال الفصل بالتشبيه بعد التشبيه ، والاستعارة بعد الاستعارة ، ولا يتكلف من ذلك ما يتكلفه امرؤ القيس وغيره ، ومع ذلك فالقرآن صاحب البلاغة المعجزة ، ولا تذكر بلاغة امرئ القيس ولا غيره معه

فاذ قطعنا النظر عن تزويقات امرئ القيس في ذلك ، وعن تكلفاته فيها ما لم يكن يتكلفه عدى ، لانجد له الا معاني تافهة لا وزن لها في الحياة ، والا مجونا وعبثا لا قيمة لهما في ذاتهما وان اجتهد في تصويرهما ، وأعمل خياله في تزويقهما ، وماذا تفعل أنواع الطلاء في وجه الشوهاء ؟ وماذا تغير يد المصور من الصورة القبيحة ؟ وقد يحدث ذلك تأثيرا في النفس وإعجابا به ، ولكنه تأثير خادع كالسحر مضلل كالكذب والغش ، يذم أكثر مما يمدح ، ويعاب أكثر مما يحمى (١)

أوزانها : وهذه ناحية تفيد الموازنة بين الشاعرين فيها أيضا ، فاذا
وازنا بينهما من ناحيتها وجدنا أن عديا كان أكثر فيها تصرفا من امرئ
القيس ، ورأينا أنه أقدر منه عليها ، فامرؤ القيس لم يتناول من أوزان الشعر
(١) قد ذهب بعضهم في قوله صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا)
إلى أنه ذم للبيان الذي سمعه وقال هذا فيه

فما روى أبو حاتم عنه إلا بحور الطويل والوافر والرمل والسريع والمديد والرجز والمنسرح والكامل والمتقارب ، فقد استعمل شعره في تسعة بحور من الشعر ، ولكنه أفرغ معظمه في بحر الطويل من هذه البحور ، فشكل حواله من هذا البحر ، وأكثر مقطعاته منه أيضا ، وليس منها إلا ست من بحر الوافر ، وفي كل بحر من البحور الباقية واحدة فقط ، ويخيل إلى أن بحر الطويل يمتد إلى البدو دون الحضر ، لأن وزنه سهل قريب المتناول ، فكان شعراء البادية يؤثرونه على غيره من البحور والاوزان التي لا يسهل على مثلهم تناولها ، ولا تصل مداركهم إلى ادراك نغماتها وموسيقاها ، أما أهل الحضر فكانوا يعرفون كل نغمات البحور ، ويدركون من جمال موسيقاها ما لا يدركه أهل البادية ، وكان فن الغناء في الحواضر العربية لا ينقص في ذلك العصر عما بلغه بها فيما بعده من العصور ، فساعد شعراءها على تهذيب ذوقهم ، وترقية وجدانهم ، فألفوا من تلك الاوزان ما لم يألّفه غيرهم

وقد جاء أكثر شعر عدى في هذه البحور (الخفيف والرمل والوافر والبسيط والمنسرح والكامل والمديد والسريع والطويل) وأكثر شعره موزع بين هذه البحور خصوصا البحور الاولى منها ، ولم يأت منه في الطويل الذي أولع به امرؤ القيس الا بمجمهرته المشهورة

أعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورمالك الشوق قبل التجلد
فيمكننا أن نفضل عديا على امرئ القيس من هذه الناحية أيضا ، وأن نحكم بأن شعره كان أجمع منه أوزانا شعرية ، وأجمل منه نغمات موسيقية موزانات خاصة بينهما : وقد اخترنا لها أشعارا لكل منهما تواردا فيها على موضوعات متوافقة ، وأمور متشابهة ، فكان عدى أكثر فيها تصرفا ، وأقدر على ابتداع المعاني والتفنن فيها ، فلا يترك موضوعه حتى يستوفيه ،

ولا يدارى قصوره فيه بالهرب منه إلى موضوع غيره ، ومن هذا قول امرئ القيس في عاذلته على لهوه ولعبه :

فبعض اللوم عاذلتني فاني ستكفيني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثري وشجرت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي
ونفسي سوف يسلبها وجرمي فيلحقني وشيكا بالتراب

ثم مضى بعد هذا يفتخر بنفسه إلى أن انتقل من الفخر إلى ذكر مصارع آبائه كما سبق ذلك فيما اخترناه من شعره

وقد قال عدى في ذلك من داليتة :

وعاذلة هبت بليل تلومني فلما غلت في اللوم قلت لها اقصدى
أعاذل إن اللوم في غير كنهه على ثني من غيبك المتردد
أعاذل إن الجهل من لذة الفتى وإن المناسبات للرجال بمرصده
أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه إذا لم يسدد
زريني فاني إنمالي ما مضى أمامي من مالي إذا خف عودى
وحمت لميقاتي إلى منيتي وغودرت قد وسدت أولم أوسد
أعاذل من لا يصلح النفس خاليا عن الحي لا يرشد لقول المفند
كفى زاجرا للسر أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي

ثم مضى في هذا الضرب من الكلام لا يلوى به القصور عن المعاني إلى موضوع آخر يدارى به قصوره ، وفي هذا الشعر آثار كثيرة من تلك الدراسات العالية التي أتاحت لعدى في شبابه ، واطلع بها على علوم دينية واجتماعية لم تتح لغيره

وقال امرؤ القيس في محبوبته :

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل
 وفرع يغشى المتن أسود فاحم أثيث ككقنو النخلة المتعشك
 غدائره مستشزرات إلى العنلا تضل المدارى فى مثنى ومرسل
 وقال عدى فى ذلك :

زاتها حسنها وفرع عميم وأثيث صلت الجبين أنيق
 وثنايا مفلجات عذاب لا قصر ترى ولا هن روق
 فيمثل عدى فى هذا رقة الحضارة وتهذيبها وأناقته ، ويمثل امرؤ القيس
 فى ذلك خشونة البداوة فى ألفاظه وتشبيهاته ، خصوصا تشبيهه شعر المرأة
 بقنو النخلة المتعشك

وقال امرؤ القيس فى وصف الخمر :
 فظلمت فى دمن الديار كأننى نشوان باكره صبوح مدام
 أنف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام
 وكان شاربها أصاب لسانه موم يخالط جسمه بسقام
 وقال عدى فى ذلك :

ودعوا بالصباح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق
 قدمته على عقار كمين الد يك صفى سلافها الراوق
 مرة قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
 وطففت فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزينا التصفيق
 ثم كان المزاج ماء سحاب غير ما آجن ولا مطروق
 فخرم عدى حضرية نقية لذينة ، وشاربها مهذب لا يذوقها الا بعد أن
 يخفف من حدتها ، ويمزجها بما يلد معه طعمها ، فلا تورثه سقاما ولا خبلا ،
 ولا تصير به الى سكر وعردة ، وخرم امرؤ القيس بدوية شديدة ، وشاربها

مسرف في شربها سكير معربذ ، وهذه هي الاغراض الشعرية التي كان امرؤ القيس يبدى فيها ويعيد ، ويكثر من ذكرها في كل قصيد ، فكيف بالاغراض الاخرى التي تفرد بها عدى ولم يحم حولها امرؤ القيس وخصوصا ذلك الشعر القصصى التاريخى والدينى ، وهو الذى بلغ من أمره في عصرنا أن يزري على الادب العربى كله بنقصه فيه

ونحن لا نتردد بعد هذه الموازنة في الحكم لعدى على امرئ القيس ، ولا في تفضيل ذلك النوع من الشعر العالى النبل الذى يباهى به العرب غيرهم من الشعوب ، وتفاخر به لغتهم في قديمها غيرها من اللغات ، على ذلك الشعر العاثر الذى لا يعنى الاشؤون امرئ القيس وحده ، ولا يصرفه إلا فى لهوه ومجونه وشهوة نفسه في الانتقام من أعدائه ؛ ولا يعنى بعد هذا بشئ من الامور العامة في الدنيا أو الآخرة ، وإذا كان لامرئ القيس محاسن فأنما هي محاسن جزئية في تصرفات لفظية ، وإنه ليتضال أمرها عند موازنتها بهذه المحاسن المذكورة لعدى ، خصوصا إذا كان لامرئ القيس أمور تؤخذ عليه من نوع محاسنه ، ولا تكاد تقل عنها في عددها ، ولا يكاد ينقص مقدار سقوطه فيها عن مقدار إجادته فيما أحسن فيه منها

وإن كثيرا من الامور التي عدوها في محاسن امرئ القيس من تشبيهاته واستعاراته وسائر تصرفاته لم يبق لها حسننها بعد أن عملت الحضارة عملها في الامة العربية بعد الاسلام ، فتغير فيها نظر الناس إلى تلك التصورات البدوية وأصبح كثير منها مستهجننا عندهم ، ومن ذلك تلك المطالع التشييبية يسكاء الاطلال ، والوقوف عند الديار ، فقد أصبحت كلها من المطالع المستهجنة ، حتى مطالع امرئ القيس التي كانوا يعدونها أحسنها ، وفي هذا يقول أبو نواس :

صفة الطول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة البكرم
وقد كان العرب في جاهليتهم أصحاب دمن وأطلال ، ثم أصبحوا من
أهل الحضارة ، فدانت لهم الدنيا ، وملكوا القصور والبساتين ، وعاشوا في
في ذلك عيشة سكون واستقرار ، وزال عنهم ما كانوا فيه من عيشة التنقل
والارتحال ، فلا معنى في هذه الحالة الجديدة لبكاء الدمن والأطلال ، وإذا
كان العرب الذين بقوا في البادية قد استمروا في عيشتهم على ما كانوا عليه
في جاهليتهم ، فقد يكون لشعرائهم أن يستمروا على بكاء أطالهم ، وقد
لا يكون لهم ذلك بعد أن صرفهم الاسلام عنه إلى أمور كثيرة أهم منه ، ولم
يرض لهم هذه البداوة وما فيها من سداجة وعنجهية
وقد ذكرنا فيما كانوا يعدونه من محاسن امرئ القيس أنهم كانوا
يعدون قوله :

فما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
أرق بيت قالته العرب ، فلما كان عصر الدولة العباسية ، ورقت الأذواق
العربية ، لم يعد هذا البيت أرق ما قالته العرب في معناه ، بل كان غيره أحق
منه بهذه الميزة فيه ، قال عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي
حملت ديننا بعسكر المهدي فركب يوما بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع ، وأنا
وراءه في موكبه على برذون قطوف ، فقال ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال
له أبو عبيد الله قول امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
فقال هذا أعرابي قح ، فقال له عمر بن بزيع قول كثير يا أمير
المؤمنين :

أريد لا أنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل

فقال ما هذا بشي وماله يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثل له ، فقلت عندي
 حاجتك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ، قال الحق بي ، قلت لا لحاق بي
 ليس ذلك في دابتي ، قال احمليه على دابة ، قلت هذا أول الفتح ، فحملت على
 دابة فلحقت ، فقال ما عندك ؟ فقلت قول الأحوص

إذا قلت إني مشفق بلقائها فحم التلاقي بيننا زادني سقما

فقال أحسن والله اقضوا عنه دينه ، فقضى عني ديني

وقال الجاحظ كم بين قول امرئ القيس :

تقول وقد مال الغيظ بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

وبين قول علي بن الجهم :

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب

فهذا هو شأن تلك المعاني الجزئية التي تبنى عليها زعامة امرئ القيس

لشعراء عصره ، بل لشعراء العربية في جميع عصورها ، فلا يصح أن تستقل

ببناء مجد شاعر ، ولا يمكن أن تثبت عليها زعامة من الزعامات الشعرية ، لعدم

انضباطها ، ولا اختلاف أذواق الناس فيها ، فلا يمكن أن تستقر زعامة تبنى

عليها .

عدى وأمية

إذا كنا قد خرجنا من هذا الميزان الصحيح الذى وضعناه للشعر بإيثار
عدى بزعمامة الشعر الجاهلى على امرئ القيس ، فإن هناك شاعرا من شعراء
عصر الجاهلية اجتمع له من أسباب الثقافة العلمية والادبية ما اجتمع لعدى ،
واستخدم الشعر العربى فى نحو تلك الاغراض العالية التى استخدمه عدى
فيها ، ونال من تعصب الاقدمين عليه ما نال عديا أيضا ، وذلك الشاعر
هو أمية بن أبى الصلت شاعر الطائف ، وهى من حواضر الحجاز المشهورة ،
ومن أمثلة شعره فى تلك الاغراض العالية قصيدته فى قصة الذبيح ، وقد ترجمها
إلى العربية من التوراة :

سبحوا للليك كل صباح طلعت شمسك وكل هلال
ولا بهيم الموفى بالنذ راحتسابا وحامل الاجزال
بكره لم يكن ليصير عنه أو يراه فى معشر أقتال
أبنى إني نذرتك لله شحيطا فاصبر فدى لك حالى
واشدد الصغد لا أحيد عن السكين حيد الاسير ذى الاغلال
وله مدية تخايل فى اللحم حذام (٣) حنية كالهلال
بينما يخلع السرايل عنه فكه ربه بكبش جلال
فخذ اذا فأرسل ابنك إني للذى قد فعلتما غير قالى
والد يتقى وآخر مولو دفطارا منه بسمع فعال
ربما تجزع النفوس من الام ر له فرجة كحل العقال
ولكن أمية كان مع هذا يتكسب بشعره ، ويستعمله فى ذلك المدح التجارى

عند عبد الله بن جدعان من أشراف قريش وغيره ، فلما جاء الاسلام انقلب
من ذلك الشعر الصالح الى شعر آثم يناهض به دعوة الاسلام، ويحاول إعلام
كلمة الشرك على كلمته ، وهذا كله مع سبق عدي له في تلك الاغراض ، فامتاز
عدي عليه من تلك النواحي ، واستحق بعد هذا كله أن نعقد له لواء الزعامة
على شعراء عصره من أوله الى آخره

يوم الاثنين ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٥٢ هـ - ٩ أبريل سنة ١٩٣٤ م -

فهرس الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٤	يريد	نريد	٦٣	١١	يثلبها	يسلبها
١٤	٧	التعصيب	التعصب	٦٥	٢	إذ	إذا
٢٦	٤	الوارثي	الوراثي	٦٦	٥	عشيتها	غشيتها
٢٦	١١، ١٣	داود	دواد	٦٨	٢١	إذ	إذا
٢٦	١٣	رواية	راوية	٦٩	٥	خوض	خوص
٢٩	١٢	أعرافك	أعراقك	٧٠	٢	جريح	جريج
٤٣	١٧	خر	آخر	٨٥	٣	لمن	لم
٤٨	١٩	هل عندكم	هل عندكم	١٠٣	٨	وحياذ	وجياد
٤٨	٢٠	خازم	أبي خازم	١١٠	٧	بالذهر	بالدهر
٥٥	٧	فاجمل	فأجملي	١١٥	٥	مشكاة	مشكاة



الصفحة	الفصول	الصفحة	الفصول
٣	خطبة الكتاب	٨٧	آل عدى بالحيرة
٤	ميزان الشعر	٨٩	حياة عدى
١٠	الشعر الحضري والبدوي	٩٤	لغة عدى وشعره
١٥	امرؤ القيس	٩٦	جمع شعر عدى
١٧	نجد	٩٩	شعر عدى
١٩	كندة وتغلب	١٠١	مختارات من شعره في الحكم
٢٥	حياة امرئ القيس	١٠٤	مختارات من شعره القصصي
٣٤	عقيدة امرئ القيس	١٠٨	مختارات من شعره في سجنه
٣٧	لغة امرئ القيس وشعره		في الاعتذار ونحوه
٤٠	جمع شعرا امرئ القيس	١١١	مختارات من شعره في فنون
٥٢	شعرا امرئ القيس في لحو حياته		الشعر المعروفة
٥٤	مختارات من شعره في لحوه	١١٣	منزلة عدى في الشعر وما آخذه
٥٩	شعرا امرئ القيس في جد حياته		عندهم
٦٣	مختارات من شعره في جد حياته	١١٨	محاسنه عند بعضهم
٧١	منزلة امرئ القيس في الشعر	١٢٠	الموازنة بين الشعارين في
	ومحاسنه عندهم		سيرتهما
٧٦	ما آخذه عندهم	١٢٢	الموازنة بين الشعارين في
٨٤	عدى بن زيد		شعريهما
٨٥	الحيرة	١٣٤	عدى وأمية